المقالة الأولى

فى سبب الرد وبيان المراد بالتوراة والانجيل عند المسلمين

اطلعنا على صحيفة كبيرة لأحد المشتغلين بقراءة الكتب التى نشرتها البعثات النصرانية فى الطعن بدين الإسلام، يسأل فيها كاتبها كشف شبهات علقت فى ذهنه من مطالعة تلك الكتب . ومن الواجب أن نجيب عن هذه الشبهات لأن المدافعة عن الدين أهم ما أنشىء له « المنار » ولكن سنتنا التى جرينا عليها من أول يوم هى مسألة المخالفين لنا فى الدين لاسيما المسيحيين ، بل السعى فى إزالة الأحقاد ، والاتفاق على مافيه نجاح البلاد ، ونود أن لا يطعن أحد فى دين الآخر، لاقولاً ولا كتابة، ولكن المسيحيين لايوافقوننا على هذا كما يوافقنا المسلمون . ولذلك نراهم يعقدون الجمعيات للطعن اللسانى فى الإسلام وينشرون الجرائد (كراية صهيون) ويؤلفون الكتب للطعن الكتابى . وإننا نصبر على هذا التعدى . ونكتفى بكشف شبهات السائلين من أهل ديننا مع مراعاة الأدب فنقول :

اننا قد عجبنا لهذا المسلم المطالع كتب المسيحيين كيف اكتفى بمطالعتها من غير أن يطالع الكتب الإسلامية التى تقابلها بالمثل وتدفع شبهاتها وتورد عليها مالادافع له، ككتاب « إظهار الحق » وكتاب « السيف الصقيل » وغيرها، فأول جواب نجيبه به : أن عليه أن يطالع تلك الكتب، وبعد مطالعتها والموازنة بينها وبين كتب المسيحيين التى طالعها يسأل عما يشتبه عليه إن بقيت له شبهة لأن الجريدة التى طلب أن ننشر فيها الأجوبة عن شبهته لا يمكنها استيفاء الكلام فى مواضيعها، لأنها تستلزم الطعن الذى تتحاماه ، خلافاً لماجاء فى آخر صحيفته . ثم

إن شبهاته تنقسم إلى ثلاثة أقسام — (أحدها) مخالفة بعض نصوص الدين الإسلامى لما ورد فى كتب اليهود والنصارى (ثانيها) ورود أشياء فى القرآن لم ترد فى تلك الكتب . و إن تعجب فعجب اشتباه هذا المسلم فى هذا النوع . فان السكوت عن الشيء لايعد إنكاراً له ، فكيف يشتبه بما يعتقد أن الله أخبر به لأن أولئك المؤرخين لم يذكروه ! ! ! (ثالثها) ورود أشياء فى الكتاب والسنة مخالفة للواقع أولما ثبت فى العلوم الحديثة بزعم من تلقى عنهم . و إننا نجيب عن القسمين الأول والثالث ، وحسبنافى الجواب عن الثاني ماذكرنامن أنه لاوجه للاشتباه به . ونبدأ الجواب بمسألة وجيزة فى اعتقاد المسلمين بالتوراة والإنجيل فنقول :

إن السائل يحتج على كون التوراة والانجيل من عند الله تعالى بالقرآن تبعاً لدعاة النصرانية الذين أولع بسماع كلامهم وقراءة كتبهم ، ولعمرى إنه لا تقوم على ذلك حجة إلا شهادة القرآن ، فشهادة القرآن حجة على أن الله تعالى شرع على لسان موسى عليه السلام شريعة سماها التوراة وهذه الشهادة شبهة على القرآن لأنها شهادة بحقية شيء يشهد العقل والعلم والوجود ببطلانه ، بل يشهد هو ببطلان نفسه . أما شهادته ببطلان نفسه فبما فيه من التناقض والتعارض ، وأما شهادة العقل والعلم والوجود فبمخالفة تلك الكتب التى تسمى عند القوم توراة لها ، و إذا أراد السائل أن يعرف هذا تفصيلا فليطالع ماكتب فيه من الانسكلوبيديا الفرنسية الكبرى وغيرها من الكتب التى ألفها علماء أوروبا ومثل إظهار الحق من كتب المسلمين .

وأما الجواب عن هذه الشبهة الذى يظهر صحة شهادة القرآن فهو أن التوراة التى يشهد لها القرآن هى كتاب شريعة وأحكام لا كتاب تاريخ مقتبس من ميثولوجيا الأشوريين والكلدانيين وغيرهم فنبالى بتكذيب علم الجيولوجيا وعلم الآثار العادية له أو موافقة هذا لبعض ماورد فيه ، ولا تاريخ طبيعىّ فنبالى بتكذيب ماثبت بالتجارب الوجودية من مخالفته ، كثبوت كون الحية لا تأكل

القلب » وإن جاء في سفر التكوين أن الرب قال للحية « وترابا تأكلين كل أيام حياتك » فضلا عما فيه من نسبة مالا يليق بالله إليه تعالى، ككونه ندم على خلق الانسان ونحو ذلك . فالتوراة حق وهي الشرائع والأحكام التي كان يحكم بها موسى ومن بعده من أنبياء بني إسرائيل عليهم السلام وأحبارهم كما قال الله تعالى (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار) ولم يشهد القرآن لهذه الكتب الكثيرة التاريخية التي منها مالم يعلم مؤلفه وكاتبه، وكلها كتب بعد موسى صاحب التوراة بزمن طويل ، وبهذا الجواب تصح شهادة القرآن وتبطل أسئلة المشتبه في الخلاف التاريخي بين القرآن وكتاب حزقيال وأشعيا ودانيال وغيرهم ، لأن هذه الكتب لم يشهد لها القرآن،

ولا تغترن بتسمية القوم لجميع كتب العهد العتيق بالتوراة فذلك اصطلاح جرى على سبيل التغليب ، بل إننا نرى النصارى كثيرا ما يسمون مجموع كتب العهدين العتيق والجديد التوراة عند ما تكون مجتمعة

وأما الانجيل فهو في اعتقاد المسلمين ما أوحاه الله تعالى إلى السيد المسيح عليه الصلاة والسلام من المواعظ والحكم والأحكام وكان يعظ به و يعلم الناس . وما زاد على ذلك من هذه الكتب التي يسمونها أناجيل فهو في نظر المسلمين من التاريخ إن كان خبراً ، وإن كان حكما أو عقيدة فهو لمن قاله . وأنت تعلم أن النصارى يسمون مجموع كتب العهد الجديد إنجيلا و يعترفون بأنها كتبت بعد المسيح بأزمنة مختلفة وليس لها ولا لكتب العهد العتيق أسانيد يحتجون بها .

والقرآن يشهد على النصارى بأنهم لم يحفظوا جميع ماوعظهم به المسيح من الوحي المسمى بالإنجيل حيث قال : (ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به) « كما قال مثل ذلك في اليهود » والإنجيل يطلق على بعض ذلك الوحي كما يطلق لفظ القرآن أو قرآن على بعضه . تقول كان فلان يقرأ

القرآن، ومثل هذا الاستعمال معروف حتى فى الكتاب والسنة، وكان القرآن يسمى قرآنا قبل تمام نزوله

ولما كانت أحكام التوراة وحكم الإنجيل موجودة عند اليهود والنصارى بلا شبهة كان القرآن يحتج عليهم بعدم إقامتها ولا يمنع من هذا الاحتجاج مزجهم إياها بالتاريخ، ولكن هذا المزج هو السبب فى قول النبى ﷺ « لا تصدقوهم ولا تكذبوهم » أى عند مايعرضون عليكم شيئا من كتبهم . وذلك لأنه ليس عندنا فرقان نميز به بين الأحكام الأصلية الموحى بها وبين مامزج بها فى التأليف نعم إننا نرجح بمقولنا أن الأحكام المسندة إلى سيدنا موسى فى سفر الخروج وسفر اللاويين وسفر العدد وسفر التثنية كلها أو جلها من التوراة لأنها إن لم تكن هى فأين هى ؟ ونرجح مثل ذلك فى وعظ المسيح على الجبل كما فى تاريخ (إنجيل متى) وغير ذلك من المواعظ كما رجح بعض العلماء فى أوربا والشرق إن جزءا كبيراً من الإنجيل الحقيقى دخل فى كتاب أشعيا ، وأما الأخبار التى عند القوم فما خالف منها القرآن نقطع بكذبه، ولاغرو فالله يصدق والمؤرخون يكذبون . وهو معنى قوله تعالى (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه) وإننا نكتفى الآن بهذا القدر وموعدنا الجزء الآتى . وإن كان للسائل شبهة فيما كتبنا فليكتب الينا لنزيده إيضاحاً . وكنا نحب أن يجيئنا إلى إدارة المنار ويأخذ الأجوبة الشفاهية ، لأن حرية اللسان أكبر من حرية القلم . ولولا أن فقهاءنا يحكمون بكفر من يعلم أن مسلما شاك فى دينه وهو قادر على إزالة شكه ولم يفعل لما كتبنا شيئا مما كتبنا لاننا خطباء وفاق ووئام ، وطلاب مودة والتئام ، ولكن ديننا أوجب علينا هذا لاسيما وإن السائل كتم اسمه وطلب أن يجاب فى المنار فتعين علينا ذلك

المقالة الثانية

﴿ شبهات التاريخ على اليهودية والنصرانية – موازنة بين الأنبياء الثلاثة ﴾

كتبنا نبذة معنونة بهذا العنوان (أى شبهات المسيحيين الخ) فى الجزء الخامس ذكرنا فى فاتحتها اننا طلاب مودة والتئام ، لاعوامل نزاع وخصام ، واننا لانود أن يطعن أحد من المسلمين والنصارى فى دين الآخر ، لأن إظهار كل فريق محاسن دينه كافية فى الدعوة اليه من غير حاجة إلى الطعن ، فقد قام الاسلام بهذه الآداب ونما نمواً وانتشر انتشاراً سريعاً لم يعرف له نظير فى التاريخ ، وذكرنا أيضاً ان إخواننا المسلمين إذ وافقونا على استعذاب هذا المشرب فان المسيحيين لايوافقوننا عليه ، لأنهم يؤلفون الكتب والرسائل وينشرون الجرائد للطعن فى ديننا ويرسلونها الينا للرد عليها

وقد ألف بعض أدبائهم وعلماء دينهم نقولا افندى غبريال كتاباً جديداً فى الدعوة إلى النصرانية والطعن فى الإسلام يتميز على الكتب الأخرى بالنزاهة والخلو من الألفاظ التى تدعى شتماً وقد أهدانا هذا الكتاب لنتكلم عنه فى المنار ثم لقينا وطالبنا بأن نكتب رأينا فيه وإن كان ابطالا لدعاويه ، ولقينا أيضاً بعض المبشرين رفقاء المؤلف وألح علينا بالكتابة إلحاحاً وأكد القول بوجوبها تأكيداً . لاجرم ان المجادلة هى وظيفة هؤلاء التى يعيشون بها فالبائع يطلب مشتريا والمجادل يطلب مجادلا ، ولكن طلب الردّ على الكتاب لم يقتصر على هؤلاء حتى قام يطلبه منا بعض أصحاب الجرائد من المسيحيين كرصيفنا الفاضل صاحب السعادة سليم باشا الحموى فانه طلب ذلك منا قولا وكتابة فى جريدته (الفلاح) الغراء ولا شك أننا إذا كلنا لهؤلاء المؤلفين الصاع بالصاع بأن تجاوزنا حدود المدافعة إلى المهاجمة يرون شبرنا ذراعا وذراعنا باعاً فانه إذا لم يثبت دين الفطرة

لايمكن أن يثبت دين ، ولولا ان الاسلام محجوب عن الانظار بالمسلمين لاخذ به جميع عقلاء الأوربيين .

يتبين ذلك لمن نظر فى الأديان الثلاثة من كتبها المقدسة مع معرفة تواريخ الذين جاؤا بتلك الكتب وسيرهم . وقد جرت لنا فى هذا الموضوع محادثة مع أحد علماء التاريخ المسيحيين الجغرافيين الذين لا يتعصبون فى الحقيقة لدين . وكان موضوع الكلام « من هو أعظم رجال التاريخ ؟ » وفرضنا أنفسنا غير معتقدين بدين ، فذكرت محمداً وذكر موسى وعيسى (عليهم الصلاة والسلام) متفقين على انهم أعاظم الرجال مختلفين فى أعظمهم وأفضلهم بحسب حاله وأثره التاريخى .

فقلت : ان موسى تربى فى بيت أعظم ملك فى العالم لذلك العهد على أنه ابنه فنشأ فى مهد الملك والسلطان وأشرب حب السيادة والحكم وشاهد سير المدنية ، والعلوم الكونية والسحرية ، وأبصر فنون الصنائع ، وتقلب فى ظل القوانين والشرائع ، وأظهرت عزة الملك ما اقتضاه مزاجه من الشجاعة والاقدام . ثم لما بلغ أشده وصار لفرعون وآله عدواً وحزنا علم أن له أمة مضطهدة مهانة على ما منحته من ذكاء الفطرة والجد فى العمل وكثرة النسل ، فاتخذهم عصبية له وحاول تأسيس ملك نزعت إليه نفسه لما أعطته التربية الملوكية وظاهر فرعون وجلاده أولا بالقوة التى كان يستولى بها على النفوس ، ويستعبد بسلطانها الشعوب ، وهى قوة الأعمال الغريبة التى نشأ فى حجرها . ثم خرج عليه بقوة العصبية كما عهد من كثيرين فى ممالك متمدنة ، وقد أعطانا التاريخ ان من الخارجين من يؤسس إمارة أو مملكة فى داخل المملكة التى يخرج على سلطانها ، وموسى قد خرج من مصر هاربا بقومه من فرعون . أما عبور البحر وهى الغريبة التى لا يمكن أن تكون حيلة ولا شعوذة ولا سحرا ولا صناعة فقد بين بعض المؤرخين ان بنى اسرائيل عبروا البحر فى نهاية الجزر من مكان قليل العمق ولما عبر فرعون بالمصريين كانت موافقة المد قد أحدثت بالزيادة والفيضان فغرقوا فيها وقد جرى مثل هذا لنابليون

بونابارت فانه عبر بعسكره البحر الأحمر فى وقت الجزر إلى الشاطىء الثانى ولما أراد الرجوع إلى شاطىء مصر كان المد قد ابتدأ ولولا أنه أمر العسكر بأن يمسك بعضهم ببعض حتى تغلب قوة المجموع قوة المد لغرقوا أجمعين ، وما عدا هذا من غرائب موسى ففى نقله إشكالات ، وفى فهمه شبهات ، وفى دلالته على نبوته وكونه يتكلم عن الله تعالى نظر ، فإذا اقتنع به بعض من مضى لا يمكن أن يقتنع به من حضر . والشريعة التى جاء بها يشهد التاريخ بأن أكثرها موافق لشرائع المصريين ، وما بقى منها فلا يكثر على من تربى مثل تربيته ، وأعطى مثل ذكاء قريحته .

وأما عيسى فهو رجل يهودى تربى على الشريعة الموسوية ، وحكم بالقوانين الرومانية ، واطلع على الفلسفة اليونانية ، فعرف مدنية ثلاث أمم كانوا أعظم أمم الأرض مدنية وأوسعها علماً وحكما ، ولم يحمله شىء من ذلك على أن يشرع شريعة جديدة ولا ان ينشىء أمة ، وانما كان خطيبا فصيحا وعلق بذهنه شىء من افراط بعض فلاسفة اليونان فى الزهادة وترك الدنيا بالمرة واذلال النفس لأجل نجاة الروح والدخول فى ملكوت السماء ، فطفق يخطب بذلك وتبعه بعض الفقراء الذين وجدوا لهم بكلامه تعزية وسلوى ، وطفقوا ينقلون عنه بعض الغرائب كما هو المعهود من عامة الناس . وان ماينقل عنه من ذلك لا يبلغ عشر معشار ماينقل عن أحد أولياء المسلمين كالجيلى والبدوى . وأما كونه ولد من غير أب فهى دعوى لا يمكن إثباتها إلا بثبوت دين الإسلام بالبرهان العقلى لا بالغرائب وليس ذلك من موضوعنا الآن ، فالمؤرخ إذا أحسن الظن يقول ان عيسى هو ابن يوسف النجار زوج مريم وهذه الزوجية لاينكرها النصارى . فموسى كان له أثر عظيم ولكن عيسى لايعرف له التاريخ اثراً يذكر لا فى العلم ولا فى الاصلاح ولا فى المدنية بل ان تعاليمه ومواعظه تؤدى إلى فساد المدنية وخراب العمران والهبوط بالنوع الإنسانى من افقه الأعلى ، إلى حضيض الحيوانية السفلى لما فيها من تربية النفوس على الذل

والمهانة والرضى بالخسف والهضيمة والأمر بترك عمران الدنيا وترقيتها لاعتقاد ان الجمل يدخل فى سم الخياط ، ولا يدخل الغنىّ ملكوت السموات . ثم هى من جهة ثانية تعاليم اباحة لانها تعلم أن الذى يؤمن بصلب المسيح لأجل خلاصه هو الذى يختص بملكوت السماء وتمحى جميع خطاياه . ومن اعتقد ذلك يستبيح كل محظور ويتبع هواه . ومن جهة ثالثة نرى هذه التعاليم وثنية لانها تأمر بعبادة البشر وتطفىء نور العقل، لانها تكلفه بان يعتقد بثبوت ما يجزم بانه محال ككون الثلاثة واحدا والواحد ثلاثة، وتذهب باستقلال الفكر والارادة إذ تجعلها مقيدة بسلطة الرؤساء بمقتضى قاعدة :ان ما يحلونه فى الأرض يكون محلولا فى السماء وما يعقدونه فى الأرض يكون معقودا فى السماء .

وأما زعم أن المدنية الاوربية مدنية مسيحية فهو زعم منقوض بالبداهة لأن هذه المدنية مادية مبنية على حب المال والسلطة والتغلب والعزة والكبرياء والعظمة والتمتع بالشهوات ، والتعاليم المسيحية تناقض هذا كله بإفراط بعيد . وما وصل الأوربيون إلى ما وصلوا إليه إلا بعد مانبذوا التعاليم المسيحية ظهريا . ولو أن هذه المدنية من أثر التعليم المسيحى لنشأت عنه بقرب نشأته ولكنها لم تظهر إلا بعد بضع قرون من ظهوره . والنتيجة ان التاريخ لا يعرف للمسيح أثرا فى الكون يجعله فى رتبة الشارعين والمصلحين فى الأمم .

وأما محمد (عليه الصلاة والسلام) فقد تربى يتيما فى أمة وثنية أمية جاهلية ليس لها شرائع ولا قوانين ولا مدنية ولا وحدة قومية ولا معارف ولا صنائع وكان أعظم ارتقاء بلغته فى عهده أن وجد بضعة نفر تعلموا الكتابة بسبب اختلاطهم بالأمم الأخرى ولم يكن هو منهم ولا السابقون إلى الإيمان به ومع هذا أوجد أمة ودينا وشريعة وملكا ومدنية فى مدة قريبة لم يعهد مثلها فى التاريخ .

علم الناس أن يبنوا عقائدهم على قواعد البراهين العقلية ،وان تكون آدابهم وأخلاقهم على صراط الاعتدال ، وأن يقوموا بحقوق الروح والجسد وأن

يراعوا سنن الله فى الخلق والأمم ، و بين لهم العبادات بآثارها فى تزكية الروح وتطهيرها ككون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر لما اشترط فيها من الخشوع الخ وأباح لهم الطيبات ، وحرم عليهم الخبائث ، وجعل المعاملات الدنيوية دائرة على درء المصالح وجلب المنافع ، وأطلق لهم حرية العقل والفكر ، وساوى بينهم فى الحقوق لا فرق بين الملك الكبير والصعلوك الفقير ، ولا بين الرجل والمرأة ، وأعطى المرأة حرية التصرف فى أملاكها ، ووضع حدودا عادلة لتحكم الرجال فى النساء والرق ، ونقح نظام الحروب فمنع البغى والتمثيل بالقتلى وقتل من لا يقاتل كالنساء والشيوخ والاطفال ورجال الدين الخ ماذكرته لذلك المؤرخ المحقق ، وسأفصل القول فيه فى دروس التوحيد الآتية ان شاء الله

وقد أذعن لى ذلك الفاضل بأن محمداً عليه أفضل الصلاة والسلام أعظم رجال التاريخ إلا انه احتج على بسوء حال المسلمين وكونهم على خلاف ماذكرت فى وصف الدين الاسلامى ، فقلت له : ان بين الاسلام والمسلمين فرقا كالفرق بين المسيحية والمسيحيين أو أبعد . وحسبك أن المدنية الاسلامية ما وجدت إلا بالدين الاسلامى (راجع مقالات مدنية العرب فى مجلد المنار الثالث) وكانت تتقلص عنهم كلما ابتدعوا فى الدين وانحرفوا عن صراطه حتى وصلوا إلى ماهم فيه الآن . وأما المدنية الأوربية التى يسميها بعض الناس مسيحية فلم توجد إلا بعد ما اتصل أهل أوربا بالمسلمين وأخذوا كتبهم وترجموها ، وهم يزدادون ارتقاء فى مدنيتهم كلما ازدادوا بعداً عن المسيحية ،فقال هذه مبالغة فى الجانبين وانفض المجلس

بقى ان ما تقدم من الشبه على نبوة سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما الصلاة والسلام يتناول أيضاً نبوة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لا لأنه يرد على دينه مثلما يرد على المعروف من دينهما بل لأنه شهد لهما بالنبوة والهداية الالهية وقد ذكرنا الجواب عن ذلك فى نبذة (شبهات المسيحيين على الإسلام) التى نشرت فى الجزء الخامس من هذه السنة (أى المقالة الأولى التى قبل هذه) . ولو

أنصف رجال الدين من اليهود والنصارى لتمسكوا بذلك الجواب واتفقوا عليه لأنه لا يدفع عنهم اعتراضات علماء التاريخ والآثار العادية والجيولوجيا والتاريخ الطبيعي والفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس إلا هو . وأما الجواب عن آية انفلاق البحر لسيدنا موسى فهو ان ماذكر بعض المؤرخين من حديث المد والجزر فهو احتمال يرجح عليه أخبار الوحي الثابت بالبرهان الحقيقي الذي بيناه في درس التوحيد قبل هذه المقالة . وكذلك يقال في سائر الآيات وما يرد عليها من الشبهات وسنجيب عما ذكرناه من اعتراض التاريخ على التعاليم المنسوبة إلى المسيح

وحاصل ما نقوله الآن ان اثبات الدين إما أن يكون بنقل الآيات الكونية الخارقة للعادات المعروفة للناس وفيه النظر الذي تقدم في درس التوحيد وهو أيضاً مشترك بين الجميع لأن كل أمة تنقل عن شارعها مثل ذلك، فما يقال في نقل هؤلاء يقال في نقل الآخرين على أن نقل المسلمين أقرب إلى الصحة من نقل غيرهم لوجوه كثيرة منها أن العلم والتأليف والرواية اللسانية معروفة فيهم من القرن الأول إلى الآن . ومنها انه لم يغلب عليهم عدو حرق كتبهم وطمس معالم الثقة بدينهم وتاريخهم . ومنها أنهم لم يضطهدوا و يضطروا لكتم دينهم فيقال إن التلاعب حصل في إبان الكتمان . ومنها أنهم هم الذين اخترعوا وضع التاريخ للرجال لأجل معرفة صحة الرواية من عدمها ولم يكن لليهود ولا للنصارى مثل هذه المزايا . وإما أن يكون بالآيات النفسية والعلمية وهذا لا يظهر في نبي كظهوره بالنسبة إلى نبينا ﷺ كما بيناه في درس التوحيد المنشور في هذا الجزء ، وسنزيده بياناً فيما سيأتي كما وعدنا وحينئذ يكون البرهان الصحيح في هذا الوقت على نبوة موسى وعيسى عليهما السلام شهادة نبينا لهما ، كان الله تعالى أعطاهما في زمنيهما آيات تناسب حال الأمم فيهما ، ولا يمكن أن تثبت الآن بنفسها ، ولذلك نرى كل من يتعلم و يعقل من المنتسبين اليهما ينبذها ظهريا و يحسبها شيئاً فريا ، ولو عرف الاسلام حق المعرفة لقبله وقبلها على وجه معقول .

إذن إن أفضل خدمة للدين المطلق هي أن يعرف الاسلام حق المعرفة لتعرف

اليهودية والنصرانية أيضا على الوجه المقبول ، وذلك بالتوفيق بين التوراة والانجيل والقرآن كما وفقنا فى الجزء الخامس لا بالاستدلال بالقرآن على صدق التوراة والانجيل ثم الاستدلال بما يسمونه توراة من تلك الكتب الكثيرة التى ألف أكثرها بعد صاحب التوراة وبالكتب والرسائل الكثيرة التى يسمون مجموعها إنجيلا على تكذيب القرآن ، لأن هذا الصنيع يعود على الموضوع بالنقض فيبطل الدليل نفسه ، وأقل مايقال فيه «تعارضا تساقطا» وتكون النتيجة ابطال الجميع أى إن القرآن هو الدليل على صحة التوراة والانجيل . والقرآن ليس من الله (بزعمهم) فشهادته غير حق ودلالته غير صحيحة . وسنعود إلى الكلام على (كتاب أبحاث المجتهدين) وعلى جريدة (بشائر السلام) بما يؤلف بين الأديان ، ويدعو إلى إزالة الأضغان (اه ص ٣٧٩ م ٤)

المقالة الثالثة

مقابلة بين الاسلام والنصرانية فى مقاصد الدين الثلاثة

بينا فى الجزئين الخامس والعاشر ، المراد بالتوراة والانجيل عند المسلمين وهما اللذان يشهد لهما القرآن الكريم و بينا أنه لاتنهض المسيحيين حجة على إثبات دينهم وكتابهم ونبوة سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما السلام إلا من القرآن ، ولا يكون القرآن حجة إلا إذا كان من عند الله تعالى فعليهم أن يؤمنوا به و يأخذوا بإصلاحه ليكونوا معنا موحدين لله تعالى نعبده وحده من دون البشر كالمسيح وغيره وندعو سائر الوثنيين إلى هذا الإيمان الذى هو غاية ارتقاء العقل البشرى وفيه السعادة والنجاة فى الآخرة مع العمل الصالح الذى يستلزمه . وقد بينا بالدليل المعقول نبوة نبينا ﷺ وكون ماجاء به وحياً فى درس التوحيد الذى نشر فى الجزء الماضى وسنزيده بياناً فى الدروس الآتية ان شاء الله تعالى . هؤلاء المبشرون

يدعوننا إلى البحث فى الدين أو يدعوننا أن نؤمن بأن بعض الأنبياء إله كامل وإنسان كامل ، وان الثلاثة واحد والواحد ثلاثة حقيقة ، وإن كان العقل ينكر ذلك ويحيله وهو محل الإيمان ، وأن ننكر بعض الأنبيــاء ونجحد نبوته بالمرة وإن قام عليها أقوى البراهين ، فان كانوا يبحثون لاظهار الحق لأجل اتباعه فيجعلوا العقل أصلا ويحكموه فى الدلائل ، وإلا فبماذا يميز بين الحق والباطل ؟ إن قالوا كتب الدين نقول (أولا) بماذا تثبت هــذه الـكتب ؟ فان قالوا بالعقل نقول لزمكم أن العقل هو الأصل ، ولا يتأتى أن يحكم بصحة كتاب يشتمل على ماهو مستحيل عنده . و (ثانيا) إذا كانت كتب الأديان التى تناظرون فيها متفقة فالدين واحد وإلا فبماذا يرجح بعضها على بعض ؟ أليس بالعقل الذى يبين أيها أهدى وأنهض بما يحتاج إليه البشر من الدين .

للدين ثلاثة مقاصد : تصحيح العقائد التى بها كمال العقل وتهذيب الأخلاق التى بها كمال النفس وحسن الأعمال التى تناط بها المصــالح والمنافع وبها كمال الجسد . فاذا حكمنا عاقلا لم يسبق له تقليد المسلمين ولا تقليد النصارى فى الدين وكلفناه أن ينظر أى الدينين وفّى هذه المقاصد الثلاثة حقها بحسب العقل السليم فبماذا يحكم ؟

يرى المسلمين مجمعين على أن العقائد لابد أن تكون أدلتها يقينية لأن كتابهم يقول فى الظن الذى هو دون مرتبة اليقين فى العلم «إن الظن لا يغنى من الحق شيئا» ويقول فى الذين احتجوا على شركهم بمشيئة الله تعالى «هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وان أنتم الا تخرصون» ويقول « قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين» ويقول عند ذكر الآيات التى يقيمها على العقائد «إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون* إن فى ذلك لآيات لأولى النهى» أى العقول . ويرى المسيحيين مجمعين على أن أصل اعتقادهم فوق العقل ، وانه يحكم باستحالته وعدم إمكان ثبوته ، ولا

شك ان هذا العاقل يحكم بأن عقائد المسلمين هى الحقة الصحيحة ولايلتفت إلى قول صاحب ابحاث المجتهدين وغيره : « ان ذلك بحث فى كنه ذات الله تعالى ولا يعرف كنه الله إلا الله باتفاق المسلمين وغيرهم » : لأن فرقا عظيما بين مايثبته العقل بالدليل ولكنه لايعرف كنهه و بين ما ينفيه ويجزم بعدم امكان تحققه . ومثال ذلك اننا نثبت المادة بصفاتها وخواصها وآثارها ولا نشك فى وجودها ولكننا لانعرف كنه حقيقتها بل لم يصل العقل إلى معرفة كنه شيء من هذه المخلوقات وانما عرف الظواهر والصفات . كذلك التوراة تصف الله تعالى بصفات يرفضها العقل كقوله فى الباب السادس من سفر التكوين « فحزن الرب انه عمل الانسان فى الأرض وتأسف فى قلبه فقال امحوا عن وجه الأرض الانسان الذى عملته » وهذا يدل على انه كان جاهلا وعاجزا تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا

ثم ينظر هذا العاقل . والحكم العادل فى المقصد الثانى وهو تهذيب الأخلاق فيرى التعاليم الاسلامية فيه قائمة على أساس العدل والاعتدال من غير تفريط ولا إفراط مع استحباب العفو والصفح والاحسان لقول كتابهم « ان الله يأمر بالعدل والاحسان و إيتاء ذى القربى و ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » فسر البيضاوىّ الفحشاء بالافراط فى قوة الشهوة البهيمية والمنكر بالافراط فى قوة الغضب الوحشية . وقوله « اعدلوا هو أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم » وقوله « والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً » إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة عامة وخاصة . و يرى التعاليم المسيحية مبنية على التفريط والافراط . يقول كتابهم « أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم » كما فى انجيل متى ٥ : ٤٤ وهذا افراط فى الحب لايقدر عليه البشر لأن قلوبهم ليست فى أيديهم ويقول فى انجيل لوقا ١٩ ـ ٢٧ « أما اعدائى أولئك الذين لم يريدوا ان أحكم عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم تحت اقدامى » وفى الباب ١٤ من انجيل لوقا « ٢٥ وقال لهم ان كان أحد يأتى الىّ ولا يبغض

أباه وأمه وامرأته وأولاده وأخوته حتى نفسه أيضا فلا يصلح أن يكون لى تلميذا »
وهذا تفريط فى الحب افراط وغلو فى البغض ومثل هذا كثير . ولاشك ان هذا
العاقل يحكم لدين الاعتدال على دين التفريط والافراط لأن الأول يرقى النفوس
البشرية ويعزها كما قال تعالى « ولكن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين » والآخر
يدليها و يذلها كما قال « من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر » وغير
ذلك مما فى معناه

وأما المقصد الثالث وهو الأعمال الحسنة التى ترقى النوع الانسانى فى روحه
وجسده فيرى فى الاسلام كل عبادة منها مقرونة بفائدتها ككون الصلاة تنهى
عن الفحشاء والمنكر وكون الصوم يفيد التقوى وكون العبادة فى الجملة رضى الله
تعالى لقوله « وابتغاء مرضاتى » إلى غير ذلك مما يزكى النفس و يرقى الروح ولا يرى
مثل هذا فى كتب الآخرين وانما يرى فى التوراة ـ التى هى كتاب الأحكام
المسيحية ولكن المسيحيين يؤمنون بها قولا لافعلا ـ أن أحكام العبادات معللة
بالحظوظ الدنيوية كقولها فى الباب الرابع من سفر التثنية « ٤٠ واحفظ فرائضه
التى أنا أوصيك بها اليوم لكى يحسن اليك والى أولادك من بعدك » وكتعليل
مشروعية الاعياد فى الباب ٢٣ من سفر الخروج من العدد ١٤ — ١٦ بالحصاد
والزراعة و بالخروج من مصر . فاين هذا من بيان حكمة عيد الفطر فى قوله تعالى
« ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون »

و يرى أحكام المعاملات الاسلامية مبنية على أساس قاعدة درء المفاسد
وجلب المنافع باتفاق المسلمين وأن كليات هذه الأحكام خمسة يسمونها
« الكليات الخمس » وهى حفظ الدين والنفس والعرض والعقل والمال ، و يرى
أن الشريعة الاسلامية ساوت فى الحقوق بين من يدين بها وغير من يدين بها .
و يراها تأمر بكشف أسرار الكون واستخراج منافعه بمثل قوله تعالى « وسخر
لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه » . و يرى التوراة والانجيل لم يجمعا

هذه المنافع في أحكامهما بل يخالفانها كثيراً . فالوصية التاسعة « لاتشهد على قريبك بالزور » فاين هذا التقييد بالقريب من أمر القرآن « ياأيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً » وغير ذلك من الآيات . وفي الباب الرابع عشر من سفر تثنية الاشتراع إباحة المسكر وسائر الشهوات على الاطلاق ونصه: «وأنفق الفضة فيما كل ماتشتهي نفسك في البقر والغنم والمسكر وكل ماتطلب منك نفسك وكل هناك أمام الرب وافرح أنت و بيتك » . وفي الباب السادس من انجيل متى « ٢٥ لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وتشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون » وفي موضوع آخر « لا تشتغلوا من أجل الخبز الذي يفنى » يأمرهم بهذا مع أن الخبز أهم المهمات عندهم حتى أمروا أن يطلبوه في صلاتهم بقوله « خبزنا كفافنا أعطنا اليوم » فما هذا التناقض .

لا تأمر هذه الكتب بترك الأعمال للدنيا فقط بل ليس للاعمال الصالحة فيها قيمة ولا منفعة مطلقا فقد قال بولس في رسالته إلى أهل رومية ١٤ — ٤ «أما الذي يعمل فلا تحسب له الأجرة على سبيل نعمة بل على سبيل دين (٥) وأما الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر فايمانه يحسب له برا » . هذا والله يقول في القرآن « ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس » الآية . فهل تنجح الأمم بهذه الأعمال أم بإيمان لا قيمة للعمل معه ؟

واثبت هذا المعنى بولس في الباب الثالث من رسالته إلى أهل غلاطية إذ ذكر أن أعمال الناموس تحت لعنة وانه لا يتبرر أحد عند الله بالناموس وأن

الناموس لا لزوم له بعد مجيء المسيح . والمسيح نفسه يقول : ماجئت لأنقض الناموس وانما جئت لأتمم : ولكن المسيحيين عملوا بقول بولس فتركوا التوراة وأحكامها بالمرة وقد أباح لهم الرسل جميع المحرمات ماعدا الزنا والدم المسفوح والمخنوق والمذبوح للاصنام (أعمال ١٥ : ٢٨و٢٩)وكأنهم رأوا أن شريعة التوراة لا تصلح للبشر كما قال حزقيال فى الباب العشرين عن الرب انه لما غضب على بنى اسرائيل قال « ٢٣ ورفعت أيضا يدى لهم فى البرية لأفرقهم فى الأمم وأذريهم فى الأراضى ٢٤ لأنهم لم يصنعوا أحكامى بل رفضوا فرائضى ونجسوا سبوتى وكانت عيونهم وراء أصنام آبائهم ٢٥ وأعطيتهم أيضاً فرائض غير صالحة وأحكاماً لا يحيون بها » وصرح حزقيال قبل هذا بأن بنى اسرائيل عبدوا الأصنام بعد ما أنجاهم الله من مصر فليعتبر بهذا ذلك المبشر المسيحى وذلك اليهودى اللذان انكرا على ما كتبته فى العدد العاشر من طلب بنى اسرائيل عبادة الأصنام وزعما أنه لم يقل بذلك إلا القرآن اه (ص ٤١١ م ٤)

المقالة الرابعة

﴿ فى كون اليهودية والنصرانية مأخوذتين من الوثنية ﴾

ذكرنا فى النبذة الماضية ان عقائد المسيحيين التى هم عليها من عهد بعيد مأخوذة من عقائد الوثنيين وقلنا ان الكتب التى يسمى مجموعها عند اليهود والنصارى (التوراة) ليست هى التوراة التى شهد لها القرآن الشريف وانما توراة القرآن هى الأحكام التى جاء بها موسى عليه السلام وتوجد (أى بعضها) فيما عدا سفر التكوين من الأسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى وفيها تاريخه وذكر وفاته وبينا أنه لاسبيل إلى هروب أهل الكتاب من اعتراض الفلاسفة والعلماء والمؤرخين على كتبهم إلا بالاتفاق مع المسلمين على هذا الاعتقاد . ونذكر الآن

كلام بعض فلاسفة فرنسا فى الطعن بالديانتين اليهودية والنصرانية وكتبهما نقلا عن كتاب (علم الدين) الذى ألفه الخالد الذكر على باشا مبارك ناظر المعارف سابقاً . قال فى المسامرة الرابعة والتسعين حكاية عن الانكليزى الناقل كلام الفيلسوف الفرنساوى بعد كلام مانصه :

« و يقول ان التوراة كتاب مؤلف وليس من الكتب السماوية متكئاً فى ذلك على قول مارى أغسطس : انه لا يصح بقاء الاصحاحات الثلاثة الأولى على ماهى عليه . وعلى قول أو بجين بأن مافى التوراة مما يتعلق بخلق العالم أمور خرافية بدليل أن كلة (براه) العبرانية وهى بفتح الباء وتشديد الراء وسكون الهاء معناه رتب ونظم ولا يرتب أحد شيئاً و ينظمه إلا إذا كان موجودا من قبل فاستعمال هذه الكلمة فى خلق العالم يقتضى ان مادة العالم كانت موجودة من قبل فتكون أزلية و يكون ملازمها وهو الزمان والمكان أزليين . وحيث انهم قالوا ان المادة ذات حياة فتكون الروح أيضا أزليه لأنها هى التى بها الحياة . و بما أن المادة هى النور والحرارة والقوة والحركة والجذب والقوانين والتوازن فتكون الحياة والمادة كالشىء الواحد لا يمكن انفصالها وجميع ذلك يخالف مافى التوراة

« و يقول أيضاً ان الستة الأيام التى ذكرها موسى لخلق العالم هى الأزمان الستة التى ذكرها الهنود والجنبهارات الستة التى ذكرها زروطشت للمجوس وان الفردوس الذى كان فيه آدم انما هو بستان الهيسبر يو الذى كان يخفره التنين . وان آدم هو أديو المذكور فى ايزوره يدام . وان نوحا وأهله هو الملك دوقاليون وزوجته بيرا وهكذا

« ويبالغ فى القدح فى التوراة و يقول إنها مبتدأة بقتل الأخ أخاه واغتصاب الفروج وتزوج ذوى الأرحام بل البهائم وذكر النهب والسلب والقتل والزناء ونحو ذلك من الأمور التى لايليق أن تنسب لمن اصطفاه الله تعالى وجعله أمينا على أسراره الإلهية . فانظر إلى اجتراء هذا الرجل على نبىّ الله موسى عليه السلام وعلى كتاب الله التوراة مع أن التوراة هى أساس الانجيل فما يقال فيهما يقال فى

الانجيل [1] ولذلك يقولون إن رسالة عيسى قد نبهت عليها اليهود من قبله بقولهم انه سيجيء إليهم مسيح وكلمة مسيح ككلمة مسايس . ومسايس لقب شريف باللغة العبرانية وقد لقب به اشعيا كيروس ملك الفرس كما فى الاصحاح الخامس والخمسين ولقب به حزقيال النبي ملك مدينة سور ومع ذلك فلم يلتفت هذا الرجل إلى شيء من ذلك فقال ما قال .

« ومن اعتقادات النصارى أيضا ان الله تجسد فى صورة عيسى وانه هو الإله وليسوا أول قائل بهذا التجسد بل قيل قبلهم فى جزاكا وبرهمة بقدس الهند وقيل فى ويشنو انه تجسد خمسمائة مرة . وقال سكان البيرو من أمريكا ان الإله الحق تجسد فى إلههم أو دين . وان ولادة عيسى من بكر بتول فتح روح القدس يشبه قول أهل الصين إلههم فوَية ولدته بنت بكر حملت به من اشعة الشمس . وكان المصريون يعتقدون ان أوزريس ولد من غير مباشرة أحد لأمه .

« وقول النصارى ان عيسى مات ودفن ثم بعث ورفع إلى السماء حيا قال بمثله قبلهم المصريون فى أوزريس المصرى وفى أوزرنيس من أهالى فينكيه وفى أوتيس من أهالى فريجيه إلا أنهم لم يقولوا برفعه إلى السماء . وكما قيل ان أودين كان قد بذل نفسه وقتلها باختياره بان رمى نفسه فى نار عظيمة حتى احترق وفعل ذلك لأجل نجاة عباده واحزابه فكذلك النصارى يعتقدون ان حلول الإله فى عيسى وارساله وموته إنما كان لأجل فداء الجنس البشرى وتخليصه من ذنب الخطيئة الأولى خطيئة آدم وحواء وأما ادريس النبى قد رفع إلى السماء بدون أن تكفر عنه الخطيئة ولا شك ان هذا خرافة ولهم كلام كثير من هذا القبيل يطول شرحه ولا فائدة فى ذكره » ا هـ .

---

(١) المنار : هذه الجملة وما بعدها من كلام الانكليزى . ولا شك ان ابطال التوراة يستلزم ابطال الانجيل ولا يمكن التخلص من ذلك إلا بالاسلام .

(المنار) لهذه الشبهات بل الحجج على عقائد المسيحين واليهود ترك علماء أوربا الدين المسيحى فبعضهم صرح بتركه بل وبعض حكوماتهم فان الحكومة الفرنساوية اعلنت إعلانا رسميا بأنه لادين لها وطاردت رجال الدين واضطهدتهم ومن بقى يتظاهر بالدين من عظمائهم فإنما هو لأجل السياسة ولذلك ترى الفلاسفة والعلماء الذين يعبأون بالسياسة يصرحون بعدم الاعتقاد بالوحى مع اعتقادهم بان الدين ضرورى للبشر ولكنهم لم يجدوا فى الدين عندهم غناء . ودين الفطرة محجوب عنهم فانهم ترجموا القرآن الكريم ترجمة فاسدة لم يفهموا منها حقيقة الإسلام . أذكر من ترجمة انكليزية قول المترجم لسورة العصر « إن الإنسان يكون بعد الظهر بثلاث ساعات رديئا أو قبيحا » ولو فهم فلاسفة أوروبا هذه السورة لجزموا بأنها على اختصارها تغنى عن جميع ما يعرفون من كتب سائر الأديان وهى مفهومة فى الجملة لمن له أدنى إلمام باللغة العربية وهى :

« وَالعَصْرِ . إنَّ الانْسَٰنَ لفِى خُسرٍ . إلاَّ الذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبرِ »

إذ يعلم أن المراد بصيغة القسم التأكيد ويعلم أن المراد بالإنسان الجنس وان الصالحات ما يصلح به حال الإنسان فى روحه وجسده فى أفراده ومجموعه وان التواصى بالحق هو من التعاون على الأخذ به والثبات عليه وان الحق هو الشىء الثابت المتحقق وثبوت كل شىء بحسبه وان الصبر يشمل الصبر عن الشىء القبيح كالمعاصى والشهوات الضارة والصبر فى الشىء الذى يشق احتماله كالمدافعة عن الحق والمصائب .

كان أهل روسيا وأهل اسبانيا أشد أهل أوربا تمسكا بالمسيحية ثم ظهر أخيراً من اضطهاد الاسبانيين لرجال الدين ما طير خبره البرق إلى جميع الاقطار واشتغلت به الجرائد فى جميع البلاد . ولما قام الفيلسوف تولستوى الروسى يفند

تعاليم الكنيسة الارثوذكسية و بين بطلان الديانة المسيحية انتصر له المعلمون للعلوم والفنون حتى تلامذة المدارس وتلميذاتها . فهذا هو شأن الديانة المسيحية كلما ازداد المرء علما ازداد عنهـا بعدا وإنما كانت أوربا مسيحية أيام كانت فى ظلمات الجهل والغباوة . وبعكسها الديانة الإسلامية هى حليفة والعلوم وقد كانت أمتها فى عصور المدنية والعلم أشد تمسكاً بالدين وصارت تبعد عن الدين كلما بعدت عن العلم .

أما الآن فإننا لا ننكر أن بعض المتعلمين على الطريقة الأوربية قد وقعوا فى بعض الشبهات و بعضهم أنكر الدين تبعاً للاوربيين الذين أخذ عنهم ولـكن السبب فى هذا أنه لم يعرف الإسـلام ولم يتعلمه قبل العلم الأوربى ولا بعده . ولهذا نطالب علماء ديننا بأن يجتهدوا فى جعل زمام تعليم العلوم الكونية بأيديهم لأننا نثق أتم الثقة بأنه لا يمكن أن يرجع عن الإسلام من يعرفه وكيف يختار الظلمة من عاش فى النور . وإن لنا لعودة إلى الموضوع إن شاء الله تعالى (راجع صحيفة ٤٤٨ م ٤) من المنار

المقالة الخامسة

﴿ فى الرد على كتاب أبحاث المجتهدين استدلاله بالقرآن على صحة ﴾

« التوراة والإنجيـــل »

لو أراد الإنسـان أن يناقش هؤلاء المسيحيين الذين يؤلفون الـكتب فى دعوة المسلمين إلى النصرانية و يحكم العلم فى مصنفاتهم فيرد على كل خطأ يجب رده لاحتاج أن يكتب على كل صحيفة من صحائفهم السوداء كتاباً مستقلا لأنهم يرمون الـكلام على عواهنه فيخطئون من حيث يدرون ومن حيث لا يدرون ، ويتعمدون الايهام والتغرير لأنهم يكتبون للعامة الذين لا يدققون

يقول صاحب كتاب « ابحاث » الجدليين لا « المجتهدين » فى الفصل الأول من البحث الأول إنه يثبت صحة التوراة والإنجيل « بالحجة الدامغة والبرهان المنطق » ثم يورد الآيات القرآنية وهى عنده جدلية لامنطقية ويحرفها عن معناها كما حرف هو وسلفه التوراة والإنجيل ، وقد بينا من قبل معنى التوراة والإنجيل وإثبات القرآن لها وكون هذا الإثبات لاينافى إرسال نبى آخر بشريعة جديدة أكمل منهما وبينا أيضاً وجه كون الديانة الاسلامية أصلح لحال البشر وأهدى لسعادتهم بل وبينا كيف أبطل بولس شريعة التوراة والانجيل وجعل المسيحية إباحية لاقيمة فيها للعمل الصالح وإنما العمدة فيها على الايمان بأن المسيح جاء ليخلص العالم .

فكيف جاز عند محبينا من دعاة المسيحيين أن يبطل هذا الرجل اليهودى بذلاقة لسانه وخلابته شريعة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ولا يجوز فى نظرهم أن يرسل الله محمداً عليه أفضل الصلاة والسلام بالبراهين العقلية فيصدق المرسلين ، ويقضى على المارقين ، ويؤنب المحرفين ، ويبين الحق فى اختلاف المختلفين ، ويخاطب اليهود والمسيحيين . بمثل ماخاطب عيسى الكتبة والفريسيين ، بأنهم لم يقيموا الكتاب ، بل أخذوا بالقشر وتركوا اللباب ، وإنهم لو أقاموه لما ساءت حالهم ، ولما وجب خزيهم ونكالهم ، ولكن اليهود والنصارى كانوا فى زمن البعثة فى أشد الخزى والنكال ، وعند آخر طرف من الغواية والضلال ، ولذلك تقلص بشمس الاسلام ظل سلطانهم بعد حين ، « وكان حقا علينا نصر المؤمنين »

أورد صاحب الابحاث سبع آيات من القرآن المجيد وقال إن الآية الأولى تفيد أن الله تعالى أنزل التوراة والانجيل هدى للناس . نعم وقد اهتدى بهما من قبل أقوام فسعدوا ثم حرفوا وفسقوا ، وانحرفوا فشقوا ، حتى جاء الاسلام

بالهداية الكبرى ، والحجة العظمى ، فاهتدى به بعضهم فسعدوا وسادوا على الآخرين ، وكانوا مع أهله الأعلين ما كانوا به مهتدين .

وقال إن الآية الثانية وهى « يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والانجيل » تبين صحتهما ، وهو كذلك ولكن للآية تتمة لم يذكرها المصنف لأنه غير منصف وهى قوله « وما أنزل اليكم من ربكم » فكأنه يأمرنا أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض كما فعل هو ومن على شاكلته بالتوراة . والمراد بما أنزل اليهم من ربهم القرآن فانه لم ينزل بعد التوراة والانجيل غيره . فالله تعالى يأمر أهل الكتاب بأن يكونوا مسلمين يؤمنون بالكتب كلها ويبين أن تعللهم واحتجاجهم على عدم اتباع القرآن بأنهم أصحاب كتاب سماوى لاحاجة لهم بغيره احتجاج باطل وتعلل كاذب لأنهم لم يقيموا التوراة والانجيل ، وأوضح هذا بالآيات الأخرى الناطقة بأنهم حرفوا وبأنهم نسوا حظاً مما ذكروا به وأنهم لو أقاموهما لما حل بهم الخزى والنكال « ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم » وكذلك وقع لاخوانهم الذين أسلموا فقد فازوا ببركات السماء والأرض ، وتتمة الآية التى نحن بصددها « وليزيدن كثيراً منهم ماأنزل اليك من ربك طغياناً وكفراً فلاتأس على القوم الكافرين وهذه الحجة قائمة عليهم إلى يوم القيامة فإن هؤلاء الدعاة يخدعون عوام المسلمين بوجوب اتباع التوراة ويوهمونهم أنهم متبعون لها . ويقول صاحب الابحاث إن محمداً يطلب إقامة حدودها ، ولا يوجد فى الدنيا نصرانى يقيم حداً من حدود التوراة أو يعمل بأحكامها فى العبادات أو المعاملات . فما لهم يشفقون على المسلمين وينصحون لهم باقامة هذه الحدود ولا ينصحون لأنفسهم ولا يشفقون عليها ؟ ؟

وقال والثالثة تبين أن الإنجيل منزل من عندالله وأن محمداً راضخ لأحكامه ، والآية الثالثة هى قوله تعالى : « وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه » وليس فيها إخبار بأن محمداً عليه الصلاة والسلام راضخ لأحكامه ولكن هؤلاء الناس

يستبيحون أن يحملوا الآيات مالا تحمله لتأييد أهوائهم وبذلك أفسدوا كتبهم وجاؤا يفسدون علينا كتابنا ولكن الله تعالى حفظه من التحريف والتبديل في الآية قراءتان إحداهما بكسر لام (ليحكم) وهى متعلقة بقوله تعالى قبلها « وآتيناه الإنجيل » أى أعطينا عيسى الإنجيل ليحكم أهله فيه وأهله هم بني إسرائيل لأن القرآن أخبرنا بأنه أرسل إلى بنى إسرائيل فعرف أنهم أهله وكذلك الانجيل الذى عندهم الآن يقول ان المسيح قال « لم أبعث إلا إلى خراف إسرائيل الضالة »

والقراءة الثانية بسكون اللام وهى حكاية للأمر السابق عند الإيتاء أى آتيناه الانجيل وأمرنا من أرسل إليهم بالعمل به . ويحتمل اللفظ أن يكون أمراً مبتدأ ورد على سبيل الاحتجاج على النصارى بعدم العمل بالإنجيل المصدق للتوراة والمقتضى للعمل بها على ماتقدم بيانه آنفاً . وإذا جازلدعاة المسيحيين اليوم أن يحتجوا على المسلمين بأن القرآن يأمرهم بالإيمان والعمل بالتوراة والإنجيل ولا يرون هذا الاحتجاج مقتضياً لإيمانهم بالقرآن فكيف يدعون أن أمر محمد (صلى الله عليه وسلم) لهم بالحكم بالانجيل يستلزم أن يكون هو راضخاً لأحكامه ؟ ؟ ا ه (ج ١٤ ص ٥٣٦ م ٤)

المقالة السادسة

فى الآيات الواردة بشأن التوراة والانجيل

ذكرنا فى النبذة السادسة أن صاحب كتاب الأبحاث أورد سبع آيات من القرآن العزيز وحرفها عن مواضعها لإثبات كتب اليهود والنصارى وإلزام المسلمين باعتقادها والأخذ بها وبينا فيها تحريفه وكون الآيات حجة للمسلمين على اليهود والنصارى لا العكس بالكلام على ثلاث آيات منها وفى هذه النبذة نتكلم على باقيها

قال « والرابعة تحكم بضلال المسلم الذى لا يؤمن بالتوراة والانجيل إيمانه

بالقرآن » ونقول ان الآية الرابعة هي قوله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل » والمسلمون يعتقدون أن نبيهم جاء بالحق وصدق المرسلين وأمر أن نؤمن برسل الله وكتبه السابقة ولكن لم يكلفنا بالعمل بتلك الكتب لأنه أغنانا عنها بكتاب أهدى منها لا نمارى فى روايته ، ولا نضل فى درايته ، مشتمل على جميع مافيها من صحيح الاعتقاد ، معصوم من التحريف والتبديل ، محفوظ من الضياع والنسيان ، حاو لما لا يوجد فيها من المعارف الإلهية كما سنبينه بعد إن شاء الله تعالى ، خال من الإضافات التاريخية والآراء البشرية ، التى ألحقت بما بقى من الكتب السماوية

على أن هذه الآية قد اختلف المفسرون فى المخاطبين بها فقيل هم المنافقون المؤمنون فى الظاهر المرتابون أو الجاحدون فى الباطن كأنه يقول لهم أيها المدعون الإيمان بالله وكتابه ورسوله وسائر كتبه ورسله بأفواههم وظواهرهم عليكم أن تؤمنوا بقلوبكم وتطابقوا بين ظواهركم و بواطنكم . وقيل هم مؤمنوا أهل الكتاب لما روى من أن ابن سلام وأصحابه قالوا : يارسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه : فنزلت الآية . وقيل هم المسلمون مطلقا ولا يعتد المسلمون بإيمان مسلم إذا أنكر الأنبياء السابقين أو كذب كتبهم ولكنهم لا يكلفونه بالبحث عنها والعمل بها لأن الله تعالى أغنانا عنها كما قلنا ولأنه قد ضاع بعضها ونسى كما قال تعالى : « فنسوا حظاً مما ذكروا به » وحرّف بعضها كما قال سبحانه « يحرِّفون الكلم من بعد مواضعه » وكيف نأخذ بكتاب نسى حظ عظيم منه ربما كان مبيناً ومفسراً للباقى أو فيه ماليس فيه مما لا بد منه فيكون أخذنا به على غير وجهه أو يكون ديننا ناقصا ويصدق علينا قوله تعالى فى أهل الكتاب « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » الآية . ونكتفى هنا بالاستدلال على نسيان أهل الكتاب حظاً منه بالقرآن الكريم لأن كلامنا مع الخصم فى دلالة القرآن على صدق الكتب وسنثبته بعد بشهادة تلك الكتب وأقوال رؤساء الديانة النصرانية .

قال «والخامسة تبين أن أهل مكة كانوا يعرفون التوراة والإنجيل كما كانوا يعرفون القرآن» ونقول إن هذه الآية هى قوله تعالى « وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه ، ولا دلالة فيها على ماذكر حتى على تقدير أن المراد بالذى بين يديه ، الكتب المتقدمة لأن سبب رفضهم الإيمان هو دعوة القرآن ومن جاء به إلى ذلك الإيمان أى انهم قالوا : إننا لانؤمن بالكتاب الذى جئت به يامحمد وقلت إنه من عند الله ولا نؤمن بالكتب التى قلت انها جاءت قبلك من عند الله . فأين الدليل فى هذا على أن أهل مكة كانوا يعرفون التوراة والانجيل بذاتهما ويتدارسونهما وهم أميون لايوجد فيهم ، بل ولا فى العرب كافة من يكتب إلا أفراد لايبلغون طرف جمع القلة (قيل إنهم كانوا ستة نفر) والوجه الثانى فى تفسير قوله تعالى ، « ولا بالذى بين يديه » انه يوم القيامة وما يتلوه من الثواب والعقاب وهو الأظهر .

قال « والسادسة تبين إقرار محمد بصحة الكتاب ومساواته إياه بالقرآن » ونقول إنه أورد الآية السادسة هكذا (قل فأتوا بكتاب هو أهدى منهما «القرآن والانجيل» اتبعه) فانظروا أيها المنصفون إلى أمانة هؤلاء الناس فى النقل وإلى تحريفهم فى المعنى وهم يخاطبون المسلمين ويعرفون حرصهم على القرآن العظيم وقد أنزل الله تعالى الآية هكذا : « قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين » أى أهدى من القرآن والتوراة لا الانجيل كما زعم مصنف كتاب الابحاث . والدليل على ذلك قوله تعالى قبل هذه الآية «ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين . فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتى مثل ما أوتي موسى أو لم يكفروا بما أوتى موسى من قبل . قالوا ساحران (وفى

قراءة سحران) تظاهرا وقالوا انا بكل كافرون » وحكمة اسناد الكفر بموسى إليهم بيان طبائع الأمم وتشابه أطوار البشر حتى كأن الحاضر عين الماضي، ولذلك قال الحكماء « التاريخ يعيد نفسه » والآيات حجة على المكابرين ، وبرهان قاطع لألسنة المعاندين ، وليس فيها مايدل على المساواة بين القرآن والتوراة فى كل شيء فإن تعجيز المشركين بالإتيان بكتاب من عند الله أهدى مما جاء به موسى ، ومما جاء به محمد لايقتضى ان ماجاء به أحدهما مساو لما جاء به الآخر أرأيت لو قيل لجاهل بعلم المنطق ينكر على علمائه وكتبه . ألف لى كتاباً فيه يكون خيراً من كتاب إيساغوجي وكتاب البصائر النصيرية : أنقول ان هذا القول يدل على أن الكتابين متساويين من كل وجه ؟؟

وقال : «والسابعة تبين الإقرار الصريح على أن التوراة صحيحة سالمة فيها حكم الله وأن متبعها ليس فى حاجة إلى أن يحكم أحداً سواها ، ونقول إن الآية السابعة هى قوله تعالى « وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله » هذا ماأورده المصنف منها وتتمتها « ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين » وهى لاتدل على ماقاله لما نبينه هنا تبييناً .

الآية واردة فى التعجيب من حال اليهود الذين يحكمون النبى ﷺ فى بعض أمرهم وهم غير مؤمنين به كالذين طلبوا حكمه فيمن زنى من أشرافهم وقالوا : إن حكم بالجلد أخذنا بحكمه . وإن حكم بالرجم فلا نأخذ به . مع أن حكم الزانى منصوص عندهم فى التوراة ولكنهم يريدون اتباع الأسهل والأخف . ووجه التعجيب أن هؤلاء القوم ليس لهم ثقة بدينهم ولاإذعان لكتابهم فهم يحكمون صاحب شريعة غير شريعتهم ، وشريعتهم التى يقولون انها من عند الله وفيها حكمه بين أيديهم ومن العجيب أنهم لايقبلون حكمه إذا هو وافق ماعندهم وهذا نهاية البعد عن الإيمان الصحيح الخالص بكتابهم ،ولذلك قال تعالى بعد استفهام التعجب من تحكيمهم « ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين » أى ليس

إيمانهم بكتابهم صحيحاً ، لأنهم أعرضوا عنه أولا فتحاكموا اليك يامحمد ، ثم أعرضوا عن حكمك الموافق له ثانياً ، أو النفي لصفة الإيمان عنهم بالاطلاق فيدخل فيها ماذكر و يدخل فيها الإيمان بالنبي ﷺ وما جاء به أى أنهم فسدت نفوسهم ، و بطلت ثقتهم بالدين مطلقاً حتى لا يرجى منهم أبدا .

وظاهر أن القول بوجود حكم الله أو أحكام متعددة فى كتاب لايقتضى أن يكون ذلك الكتاب كله صحيحاً سالماً من التحريف مشتملا على جميع ماأنزله الله تعالى . فانني أقول إن كتاب السيرة الحلبية مثلا فيه حكم الله . ولا أعتقد أن كل مافيه من الله تعالى وانه سالم من التحريف ولا حاجة لغيره بل اعتقد مع هذا أن فيه أقوالا اجتهادية وآراء للمؤلف ، ونقولا لاتصح ، وانا فى حاجة إلى غيره . (اهـ ص ٥٧٤م٤)

المقالة السابعة

(فى الرد على مجلة بشائر السلام)

(وفيه المفاضلة بين اليهود والمسلمين، وتفضيل محمد على موسى وسائر النبيين)

فرغنا فى الجزء الماضى من دحض شبهات الفصل الأول من البحث الأول من كتاب أبحاث المجتهدين وهو الذى عقده مؤلف الكتاب لاثبات الكتب التى يسمونها التوراة والانجيل بشهادة القرآن وكنا عازمين على أن نبدأ فى هذا الجزء بابطال شبهات الفصل الثاني الذى عقده لإثبات تلك الكتب بالعقل و إذ ورد علينا الجزء الخامس من المجلة البروتستنتية المسماة بشائر السلام فرأينا فيها طعنا شديدا بالاسلام ، وسبحا طويلا فى بحار الاوهام ، أحببنا أن نقذف عليه بالحق ، ليدمغه فيزهق ، ونعود إن شاء الله تعالى إلى انتقاد ذلك الكتاب في الأجزاء التالية . وهذا الطعن محصور فى ثلاث نبذ .

﴿ النبذة الأولى عنوانها شجرة النسل المبارك ﴾

هذه النبذة تابعــة لمقالة سابقة يمدح فيها بنى إسرائيل و يبين فضلهم وقد أعطاهم فوق قدرهم ولكنه ما قدر الله حق قدره — عظمهم وأساء الأدب مع الله تعالى ، مدح الشجرة الاسرائيلية . وقدح فى مقام الالوهية ، وله فى ذلك كلام « تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا » فمنه قوله — وحاكى الكفر ليس بكافر — : « أولا تقضى من ذلك العجب ان فاطر السموات والأرض يختلى مع بنى إسرائيل فى البرية يخاطبهم ويخاطبونه ويراهم ويرون مجده وبينهم موسى الكليم يتجاذب معه اطراف الحديث ويتبــادل فصول الخطاب كالالفين المتآلفين والخليلين المتصافيين » ثم انتقل من هذا إلى غمض ســيد المرسلين وخاتم النبيين الذى أكمل الله به الدين وإلى انتقاص جميع العــالمين . فقال : « فاسمع أيها القارىء المسلم وابهت وادهش أليس محمد عندك أعظم الخلق فلم يكن أهلا لأن يخاطب الله رأسا أو يسمع صوته أو يرى مجده مثل عامة إسرائيل فضلا عن خاصتهم بل لم يكن خليقا أن يخاطب جبرائيل (كما قلتم) إلا وتغشاه غيبة وغطيط يبلغان منه الجهد ويتفصد لذلك جبينه عرقا فى اليوم الشديد البرد » انتهى خلطه وخبطه .

ونقول ان هؤلاء الناس تأصلت فيهم الوثنية ورسخت جــذورها فى أعماق نفوسهم حتى صار انتزاعها متعذرا ماداموا لا يقيمون للعمل وزنا ، ولا يرون له فى كتب الدين معنى ، وتفصيل القول فى بيــان بطلانهم يطول ولا تفى به مجلتنا كلها ولذلك نكتفى بالاجمال فنقول بلسان العقل المحض لا بلسان الإسلام ليكون أدعى للقبول .

(١) ان المسلمين ينقلون ان نبيهم محمداً ﷺ صعــد إلى السماء ورأى من آيات ربه الــكبرى بل يقول أكثرهم انه رأى الله سبحانه وتعــالى بلا كيف وكلمه

بلا واسطة . وموسى (عليه السلام) ومن كان معه من بنى اسرائيل انما رأوا بروقاً ، وسمعوا رعدا وبوقا ، وغشيهم دخان كدخان الأتون ، وارتجف بهم الجبل فارتعدوا ووقفوا من بعيد « وقالوا لموسى تكلم أنت معنا فنسمع ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت » بل قال الرب « اذهب انحدر ثم اصعد أنت وهارون معك وأما الكهنة والشعب فلا يقتحموا ليصعدوا إلى الرب لئلا يبطش بهم » كل هذا مصرح به فى الباب ١٩ و ٢٠ من سفر الخروج وهو يكذب قول المجلة انعامة بنى اسرائيل كانوا يخاطبون الله رأسا ويسمعون صوته فماذا هذا التمويه والايهام ؟ . وورد فى القرآن « وخر موسى صعقا » وقال فى محمد « مازاغ البصر وماطغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى » فهل من الانصاف ان تقولوا نحن الصادقون لأننا قلنا ..

(٢) ان بنى إسرائيل الذين خصوا بهذه العناية وهرون الذى أذن له الرب ان يصعد مع موسى وحده من دون الكهنة والشعب لم يتمسكوا بأعظم الوصايا التى أوصاهم بها الرب يومئذ بل تركوا أولها فى الذكر والرتبة وهى « لايكن لك آلهة أخرى أمامى لاتصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما » الخ فان هرون بزعمكم وزعم كتبكم هو الذى اتخذ لهم العجل فعبدوه من دون الله . ألا يكون هذا الشعب الذى اختص بتلك العناية والتكريم . ثم كفر هذا الكفر الجسيم ، جديراً بالغضب والمقت من الله وسلب نعمته عنه و إسباغها على شعب آخر كالشعب العربى الذى نزع به الوثنية من ملايين من الناس لم تعد اليهم بفضله وكمال نعمته . ومن الأدلة على غضب الرب على شعب إسرائيل ما أوردناه فى النبذة الثالثة (ص ٣١٧ ج ١١) عن كتاب حزقيال . فهل يصح استدلاله بعد هذا على أن الله تعالى وتقدس لايزال عاشقاً (سبحانه سبحانه) لشعب إسرائيل وغاضبا على سائر خلقه وأن عامتهم أفضل من ... ومن الغريب أنه يستدل بآيات

القرآن العزيز على انعام الله تعالى على بني اسرائيل ولا يستدل بها على كفرهم النعم ورميهم بالنقم ! !

(٣) إن القاعدة الأساسية عند المسلمين فى الإيمان هى تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين فاذا ورد فى الوحى لفظ ينافى ظاهره التنزيه يصرفونه عن ظاهره إلى ضرب من التجوز والتأويل . وكأن القاعدة الأساسية عند سواهم هى التشبيه والوثنية لا سيما الذين جعلوا من البشر الهاً فاذا ورد فى كتبهم كلمة تنافى التنزيه يضيفون إليها أضعافها و يتفننون فى القياس عليها . ورد أن الله تعالى كلم موسى مثلا فالمسلمون ينزهون الله تعالى عن الصوت وعن الجهة والمكان و يقولون : ماثم إلا إعلام الهى بصفة تليق بجلال الله سماها الله تعالى تكليما وليست كتكليم الناس بعضهم لبعض حتما والا لكان تعالى مشابها للمخلوقات وذلك هدم لأصل الدين والإيمان . وأما النصارى فيقولون مثلما نقلنا آنفا عن مجلة بشائر الاسلام « يتجاذب معه أطراف الأحاديث » وانهما كالالفين ونحو ذلك مما هو صريح فى التشبيه . ولا غرو فمن قال ان المسيح إله يقول ان الاله يخلو بموسى و يتبادل معه فصول الخطاب « تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا »

(٤) ان المجلة خلطت فيما ذكرته عن حالة النبى (صلى الله عليه وسلم) عند الوحى لأن ذلك مأخوذ من أحاديث لم يفهمها الكاتب فظن أن كلمة (غطنى) فى حديث بدء الوحى من الغطيط الذى هو صوت النائم أو صوت هدر البعير وليس كذلك و إنما معناه (ضمنى بشدة وضغط) ثم خلطها بكلمات من حديث وصف الوحى والتأثر منه . وزعم صاحبها أن عدم التأثر من الوحى أفضل وأكمل وهى دعوى افتجرها لا يقوم عليها دليل فاننا نقول إنها كانت حالة من حالات الوحى ربما لم يحصل نظيرها لموسى فيتأثر تأثر محمد (عليهما السلام) على أنه يوجد فى المفضول مالا يوجد فى الفاضل فلو فرضنا أن موسى امتاز على محمد بهذه الفضيلة فلمحمد مزايا كثيرة يفضله بها . ومن التجاوز أن يفاضل مثل هذا الكاتب الذى

لا يقدر الله حق قدره بين أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام بمجرد الهوى وسوء الفهم

﴿ النبذة الثانية من تلك المجلة فى سيدنا اسمعيل ﴾

غمط كاتب المجلة سيدنا اسماعيل عليه السلام فى مقام المفاضلة بينه و بين اسحق . و إذا صح قوله ونقله واستدلاله منهما على أن اسحق أفضل وانه هو الذبيح فن هذا لا يضر بدين الإسلام شيئاً . ولا يستحق قوله فى هذا المقام ان يصرف فى نقده شىء من الوقت .

﴿ النبذة الثالثة مؤلفو العهد الجديد والدعوة إلى الدين ﴾

جاء فى قسم الأسئلة والأجوبة من المجلة سؤلان أحدهما ان أحد أصحابهم المسلمين سألهم : « هل بطرس و بولس و يوحنا وغيرهم من كتبة العهد الجديد هم رسل الله وهل جاء فى العهد القديم نبوة عن ارسالهم كما جاء عن المسيح » وكان جواب المجلة انهم رسل . ونحن نقول ما كان لمسلم يعرف عقيدة الاسلام أن يسأل هذا لأن الرسول فى اعتقاد المسلمين هو النبي الذى أوحى إليه بدين مستقل وأمر بتبليغه للناس والنصارى أنفسهم لا يدعون الرسالة بهذا المعنى لبطرس و بولس وغيرهما من مؤلفى الأناجيل ورسائل العهد الجديد . ولأن المسلمين لا يستعملون لفظ النبوة بمعنى البشارة كما هى مستعملة فى السؤال واستدلوا على رسالة من ذكر بالعجائب . وانه ليؤثر عن ولى واحد من أولياء المسلمين أكثر مما يؤثر عنهم وعن المسيح عليه السلام ولم يقولوا ان الأولياء رسل .

والسؤال الثانى من صاحب لهم آخر وهو : « لم انفرد المسيحيون بارسال المبشرين واستمروا على ذلك من عهد ظهورهم إلى الآن » والجواب « ان المسيحية هدى ومتى كان الهدى فى القلب لا يتمالك صاحبه أن يكاتمه أبناء جنسه أو يواريهم فيه » ثم قال ان المسيحيين منفردين بالهدى ونحن نقول (أولا) انه ماقام دين من الأديان فى العالم إلا بالدعوة وما دعا أحد إلى دين إلا ووجد له تابعين ولكن منها ماانتشر بقوته

الذاتية أى قوة الهداية والسلطان على النفوس كالإسلام ومنها ما انتشر بالاكراه والالزام كالدين المسيحى فانه بقى ثلاثة قرون لايقبله إلا أفراد قليلون ثم دخل فيه بعض ملوك الوثنيين فصاروا يلزمون الناس به بالاكراه كما سنبينه بعد إن شاء الله تعالى بشهادة التاريخ، و (ثانيا) ان بنى اسرائيل شعب الله الخاص الذين نوه بهم صاحب المجلة ماكانوا يدعون لدينهم حتى فى عهد المسيح الذى هو منهم فهل كانت ديانتهم فى ذلك العهد ضلالة أم هداية ؟. و (ثالثا) ان البهائية الذين يقولون فى البهاء المدفون فى عكا كما يقول النصارى فى المسيح يدعون إلى دينهم فى كل مكان وجدوا فيه حتى يوشك أن يكون كل واحد منهم داعيا فهل يقول أصحاب هـذه المجلة إنهم على هدى وأنه يجب عبادة البهاء وترك عبادة المسيح أو الجمع بينهما ، و (رابعا) أن الجواب يستلزم أن يكون كل مسيحى داعيا إلى دينه لأنه على هدى وصاحب الهـدى لايقدر على كتمانه ولكننا نرى الدعوة محصورة فى أفراد منهم يأخـذون عليها الأجر من الجميات الدينية فهم يدعون ، لأن الدعوة معـاش لهم لا لأنهـا هدى فى قلوبهم يفيضون منه على أبناء جنسهم ، و (خامسا) اننا نرى المسيحيين الفضـلاء ينتقـدون هؤلاء الدعاه المسيحيين المستأجرين ويقولون انهـم يضرون المسيحية ولا ينفعونها ومن أصحاب الجرائد من انتقدهم كتابة . و (سادسا) ان كل صاحب دين يعتقد أنه على هـدى والانـان انما ينبعث إلى العمل باعتقاد نفسه لا بما عليه الأمر فى نفسه ولولا ذلك لم يعمل أحد شرعاً ولم يدع أحـد إلى باطل . ولكن قد تحول دون الدعوة الحوائل .

أما الدعوة الصحيحة التى اندفع اليها أصحابها بقوة الاعتقاد فهى دعوة حوارى المسيح عليه الصلاة والسلام وما آمن معهم إلا قليل ودعوة المسلمين عدة قرون آمن فيها الملايين . فقد كان التاجر المسلم يدخل مملـكة من ممالك افريقيا أو آسيا فتدخل كلها فى الاسلام على يديه . ولم تنقطع هذه الدعوة بالمرة ولكنها ضعفت بضعف الاسلام وفقد التربية الدينية وإهمال علومه الحقيقية وضعف المدنية والحضارة

وإهمال دول الاسلام أمر الدين واعتماد المسلمين على ملوكهم وأمرائهم وحكوماتهم على خلاف مايفرضه الاسلام عليهم ولا يزال الشيعة والبهر (الاسماعيلية) يدعون بقدر الطاقة . وهؤلاء الملوك والأمراء هم العقبة الأولى فى طريق الاسلام والعقبة الثانية ملوك أروبا الاقوياء الذين ينصرون دعاتهم ويحمونهم بعدان يوجهوهم الى الدعوة حتى إنهم ليحاربون مملكة بحجة الانتصار لقسيس واحد فالقوة الاوربية هى أنطقت لسان هؤلاء الدعاة وهى التى أجرت أقلامهم .وسددت لرمى مخالفيهم سهامهم ، فتبين ان جواب السؤال الصحيح هو ان المسيحيين ينشرون لأن السياسة تدفعهم ، والجنيهات تتبعهم ، والمدافع تمنعهم ، (أى تحميهم) وأما المسلمون فانهم على ضعفهم العلمى والاجتماعي والسياسى لايزالون يدعون إلى الدين مندفعين اليه بدافع الاعتقاد ولكن على ضعف تؤيده قوة الحق فيكون أنجح وأقرب إلى القبول وطالما شكا دعاة المسيحيين من تقدم الاسلام فى أفريقيا وسبقه للمسيحية مع شدة العناية بنشرها وكان أقرب تعليلهم فى ذلك ان الاسلام أقرب إلى الفطرة والعقل وسننشر بعض كلام القسيسين فى ذلك ان شاء الله اه(ج ١٦ ص ٦١٩ م ٤)

المقالة الثامنة

فى كتب العهد الجديد

جعل مؤلف الابحاث الفصل الثانى من المبحث الأول فى اثبات صحة التوراة والانجيل عقليا وتقرير هذا الدليل ان الله قادر حكيم فلا بد أن يضع دستوراً ويكتب شريعة لمخلوقاته العاقلة كى تعلم نسبتها إلى خالقها وواجباتها نحوه وواجبات بعضها نحو بعض وتعرف مصير العالمين وقصاص العصاة وثواب الطائعين المؤمنين

لئلا يكونوا فوضى لاوزاع لهم ولا مشترع كالانعام يدوس بعضهم بعضا وكالأسماك يأكل صغيرها كبيرها ويفنى الناس بعضهم بعضا وتستوى الفضيلة والرذيلة وهذا مالا يرضى به القادر الحكيم . ثم قال : « فاذا لم يكن ذلك الدستور وتلك الشريعة هما التوراة والانجيل فقل لى بعيشك ماهما ؟ هل يوجد كتاب قديم مقدس يفى بالغرض المقصود كالتوراة والانجيل ؟ كلا لعمرى »

(المنار) إننا لانؤاخذ المؤلف على تقصيره فى تقرير وجه الحاجة إلى الشريعة إذ يعرف القراء هذا التقصير بمقابلته بما كتبناه وماسنكتبه فى بيان الحاجة إلى الوحى من دروس الامالى الدينية ولكننا نذكره بأمور إذا تأملها ظهر له أن حجته داحضة وهى :

(١ و٢) لماذا ترك الله البشر قبل التوراة ألوفا من السنين لانعلم عددها من غير شريعة إذا كان ذلك لايرضيه ؟ ولماذا لاتظهر حكمته هذه إلا فى بنى اسرائيل من عهد قريب وكل الناس عبيده والعلة تقتضى العموم ؟: هذان السؤالان يردان عليه وعلى جميع اليهود والنصارى القائلين بقوله ولايردان على المسلمين لأن القرآن حل هذا الاشكال بقوله تعالى فى الرسل (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) وقوله «وان من أمة إلا خلا فيها نذير » فنحن نعتقد أن الله أرسل رسلا فى جميع الأمم التى استعدت بترقيها إلى فهم توحيده لايعلم عددهم غيره تعالى .

(٣) هل كان أهل الصين كالأنعام يدوس بعضهم بعضاً ، أو كالسمك يأكل كبيرهم صغيرهم بلا وازع ولا رادع أم كانوا أولى مدنية وفضائل قبل وجود بنى اسرائيل و بعدهم ؟ التاريخ يدلنا على أنهم كانوا أرقى من بنى اسرائيل فى العلوم والمعارف والمدنية والنظام التى تحتاج الشريعة لأجلها ، وكانوا أرقى من النصارى أيام لم يكن عندهؤلاء إلا الديانة التى بثها فيهم مقدسهم بولس فما زادتهم إلا عداوة و بغضا واختلافا وتنازعا وحربا واغتيالا فى تلك العصور التى يسمونها المظلمة . وكان الصينيون فى هدوء وسلام ، ووفاق ووئام ، وما قيل فى الصينيين

يقال نحوه فى الهنود . ولا يرد مثل هذا الاشكال على المسلمين لأنهم بمقتضى هدى القرآن يجوزون أن يكون الله تعالى بعث فى الصين والهند أنبياء أرشدوهم إلى ماكانوا فيه من السعادة ثم طال عليهم الأمد فزجوا ديانتهم بالنزعات الوثنية الموروثة حتى حولوها عن وجهها تحويلا كما نعتقد مثل ذلك فى النصارى إذ لاشك أن ديانتهم فى الاصل سماوية توحيدية ثم حولوها إلى عبادة البشر من المسيح وأمه وغيرها .

(٤) أن الأوروبيين قد استغنوا بالقوانين الوضعية عن شريعة التوراة و بالآداب الفلسفية عن آدابها وآداب الانجيل فطرحوا الزهادة ونفضوا عن رؤوسهم غبار الذل وقد نجحوا بهذا وارتقوا عما كانوا عليه أيام كانوا متمسكين بهذا الكتاب الذى يسمى (المقدس) فكيف تقول إنه لايوجد غيره لهداية البشر وتهذيب أخلاقهم وهذا الواقع يدل على خلافه . وهذا الاشكال لايرد أيضا على المسلمين لأنهم يعتقدون أن اليهود والنصارى نسوا حظا مما ذكروا به فى الوحى وطرأ على الباقى التحريف والنسخ فلم يعد صالحا لهداية البشر . و يعتقدون أن الأوربيين أقرب الناس إلى دين الاسلام فى أخلاقهم الحسنة كعزة النفس وعلو الهمة والجد فى العمل والصدق والامانة والاهتداء بسنن الكون والاسترشاد بنواميس الفطرة والاخذ بالدليل وغير ذلك وأنهم كما اهتدوا إلى هذا بالبحث والتوسع فى العلم سيهتدون كذلك إلى سائر ماجاء به الاسلام من العقائد والاخلاق والفضائل والأعمال

(٥) ان المسلمين قد ظهر فيهم كل ماذكره فى وجه الحاجة إلى الشريعة على أكمل وجه لم يعرف مثله فى الكمال عند اليهود والنصارى فعرفوا مايجب لله تعالى وما يجب من حقوق العباد ، وصلح بالدين حالهم واجتمعت كلمتهم وتهذبت أخلاقهم وسمت مدنيتهم فى كل عصر بقدر تمسكهم به والتاريخ شاهد عدل .

(٦) إذا كانت التوراة قد بينت كل ماذكره من حاجة البشر إلى الشريعة فلماذا وجد الانجيل ؟ و إذا كانت ناقصة فلماذا جعلها الله ناقصة لاتفى بالحاجة ،

وكيف يتم له الدليل بناء على هذا القول على إثبات التوراة والانجيل بالعقل ؟ وهذا الاشكال لا يرد على المسلمين المعتقدين بصحة أصل التوراة والانجيل لأنهم يقولون إن كلا منهما كان نافعا في وقته ، ثم عدت عواد اجتماعية ذهبت بالنفع والفلسفية فساءت حال القوم المنتمين إلى الكتابين فجدد الله الشريعة بالاسلام ، على وجه فيه الاصلاح العام ، فانقشع بنوره كل ظلام ، وحفظ الله كتابه من التحريف والتبديل ، ليرجع اليه الذين يضلون السبيل .

(٧) إذا كانت التوراة مشتملة على ماذكره كما تقدم فلماذا تركها المسيحيون فعطلوا شرائعها وضيعوا حدودها كما بيناه في بعض نبذ الرد السابقة .

(٨) إذا كانت كتب العهد العتيق والعهد الجديد إلهية حقيقية فلماذا وجد فيها الاختلاف والتناقض والتهاتر ومصادمة العقل الذى لا يفهم الدين ولا يعرف إلا به وقد تكلمنا على مصادمتها للعقل قليلا في بعض النبذ الماضية وسنبين بعد كل ما ادعيناه هنا تبيينا .

(٩) إذا كانت هذه الكتب إلهية وافية بما ذكره المصنف من حاجة الناس للشرائع فلماذا وجد فيها ما يخل بذلك أصوله وفروعه كتشبيه الله بخلقه ونسبة الفواحش إلى الأنبياء الذين هم أحق الناس وأولاهم بالاهتداء بالدين الذى تلقوه عنه سبحانه وتعالى وغير ذلك مما ينافى الآداب الصحيحة كما ألمعنا من قبل وسنزيد ذلك بياناً ونكتفى الآن باشارات من لامية الابوصيرى رحمه الله تعالى . قال في شأن العهد العتيق وأهله :

وكفاهم أن مثلوا معبودهم سبحانه بعباده تمثيلا
وبأنهم دخلوا له في قبة إذ أزمعوا نحو الشام رحيلا
وبأن اسرائيل صارع ربه فرمى به شكراً لاسرائيلا
وبأنهم سمعوا كلام إلههم وسبيلهم أن يسمعوا منقولا

وبأنهم ضربوا ليسمع ربهم ... فى الحرب بوقات لهم وطبولا
وبأن رب العالمين بدا له ... فى خلق آدم ياله تجهيلا
وبأنه من أجل آدم وابنه ... ضرب اليدين ندامة وذهولا
وبداله فى قوم نوح وانثنى ... أسفا يعض بنانه مذهولا [1]
وبأن إبراهيم حاول أكله ... خبزاً ورام لرجله تغسيلا [2]
وبأن أموال الطوائف حللت ... لهموا رباً وخيانة وغلولا
وبأنهم لم يخرجوا من أرضهم ... فكأنما حسبوا الخروج دخولا
لم ينتهوا عن قذف داود ولا ... لوط فكيف بقذفهم روبيلا [3]
وعزو إلى يعقوب من أولاده ... ذكراً من الفعل القبيح مهولا
وإلى المسيح وأمه وكفى بها ... صديقة حملت به وبتولا
وأبيك ما أعطى يهوذاً خاتما ... لزنى بمحصنة ولا منديلا [4]
لوّوا بغير الحق ألسنة بما ... قالوه فى لياّوفى راحيلا [5]
ودعوا سليمان النبى بكافر ... واستهونوا إفكا عليه مقولا [6]
وجنوا على هرون بالعجل الذى ... نسبوا له تصويره تضليلا [7]

---

(١) بداله فى البيت وما قبله أى ظهر له فيه رأى جديد وفى سفر التكوين (٦ : ٦) ان الرب حزن وتأسف لانه خلق آدم ويلزمه البداء والجهل ، كذلك فى نوح وقومه (٢) راجع (١٨ تك) (٣) يريد رمى داود بالزنا بامرأة أوروبا (راجع ١١ صموئيل ٢) ولوط ببناته راجع (١٩ تك) وأما رويبل فيسمونه رؤبين راجع قصة قذفه فى (٣٥ تك) (٤) فى (٣٨ تك) ان يهوذ زنى بكنته ظناً انها بغى ووعدها بجدى وأعطاها خاتماً وعصابته وعصاه رهناً على ذلك وجاءت منه بتوأم (٥) القصة فى (٢٩ و ٣٠ تك) (٦) فى (١١ الملوك الأول) ان النساء أملن سليمان لعبادة الاوثان (برأه الله) (٧) راجع (٣٢ خروج) .

(إلى أن قال)

الله أكبر ان دين محمد وكتابه أقوى وأقوم قيلا
طلعت به شمس الهداية للورى وابى لها وصف الكمال أفولا
والحق أبلج فى شريعته التى جمعت فروعا للهدى وأصولا
لاتذكروا الكتب السوالف عنده طلع الصباح فأطفأ القنديلا
درست معالمها ألا فاستخبروا عنها رسوما قد عفت وطلولا

ولا يخفى أن المطاعن التى تنافى ما ذكره المصنف وغيره من الدليل على حاجة البشر إلى الشريعة ولا تليق بالوحى السماوى لا ترد على المسلمين الذين يقولون بحقية التوراة والانجيل لما بيناه فى الجزء الخامس فراجعه (اى ج ٥ م ٤) اه ٦٥٤ م ٤ .

المقالة التاسعة

فى كتب العهدين أيضاً

بينا فى النبذة الثامنة التى نشرت فى الجزء ١٧ ما قاله صاحب كتاب الابحاث فى اثبات كتب العهدين من طريق العقل وفندنا قوله تفنيدا . ونذكر هنا انه بعد ما ذكر حاول الاحتجاج على استحالة تغير (التوراة والانجيل) فكانت حجته الداحضة على ذلك أن الديانتين اليهودية والمسيحية كانتا منتشرتين فى الشرق والغرب « وكان الكتاب لاسيما الانجيل مترجما إلى كل لغات الأقوام التى دخل بينهم كالعربية والارمنية والحبشية والقبطية واللاتينية من اللغتين اليونانية والعبرانية الاصليتين . (قال) فكيف يعقل ان هؤلاء الألوف يجتمعون ويتفقون على تغييره مع اختلافهم فى اللغة والعقيدة سيما ان المسيحين كانوا شيعا كل واحدة تناظر الأخرى . ولاشك ان قول المسلمين بتغيير الكتاب هو دعوى

بدون دليل والا فليخبرونا أين الآيات المتغيرة وما هى وما أصلهـا وما الغاية من تغييرها . فان عجزوا ولامراء انهم عاجزون قل لهم كيف جاز لكم هذا الادعاء والعالم الحكيم لايقدم على أمر إلا ولديه ما يثبت مدعاه » اه .

والجواب عن هذه المغالطة سهل على الناظر فى كتب العهدين التى يسمون مجموعها التوراة والانجيل وفى كتب تواريخ الـكنيسة والتاريخ العام . وأما المسلم الذى لم يطلع على ذلك فيكفيـه أن يقول ان كل ما خالف القرآن فهو ليس من التوراة ولا من الانجيل لان القرآن ثابت بالبرهان القطعى ومنقول بالتواتر حفظا وكتـابة وتلك الـكتب ليست كذلك ووحى الله لا يخالف بعضـه بعضا إلا ما كان من قبيل الأحـكام المنسوخة فلا بد من ترجيـح القرآن عنـد التعارض فيما دون ذلك لانه هو الثابت القطعى كما اعترف بذلك بذلك كثيرون من علماء النصرانية فقد جاء فى كتاب (السيوف البتارة ، فى مذهب خر يستفورس جباره) لمحمد أفندى حبيب الذى كان تنصر ثم رجع إلى الإسلام بعد ما اختبر غيره : « ان المستر ستو بارت رئيس مدرسة لامارتينيبار فى لكنئو بالهند الانكليزية صرح فى كتابه المسمى (الاسلام ومؤسسه) صحيفة ٨٧ بما يأتي بالحرف الواحد : « عندنا براهين قوية عديدة للتصديق بأن القرآن الموجود الآن هو عين ألفاظ النبى محمد الأصلية كما لقن وأملى بمراقبته وتعليمه » وبهذا قال موير الممدود فى الوقت الحاضر أمهر وأحذق وأكبر عدو للاسلام » إلى آخر ما استشهد به

أما التغيير والتبديل والتحريف فى كتب العهدين فالمسلمون لايقولون إن هذه الـكتب كلها سماوية منقولة عن الأنبياء نقلا صحيحاً وان اليهود والنصارى غيروها بعد ما انتشروا فى الشرق والغرب ونقلها كل قوم دخـلوا فى اليهودية أو النصرانية إلى لغتهم . وإنما البحث فى أصلها وكاتبيها فى أول الأمر ومن تلقاها عنهم قبل ذلك الانتشار العظيم وهذا هو الأمر المشكل ، والداء المعضل ، الذى

لا يجد أهل الكتاب له دواء ولا علاجاً، من كتب الاسفار الخمسة المنسوبة إلى موسى عليه السلام ؟ يقولون ان موسى كتبها وأودعها ما كلمه به الرب فكانت تاريخاً له ولشريعته الإلهية . كيف يصح هذا الجواب وهذه الكتب تتكلم عن موسى بضمير الغيبة وفى آخر فصل منها ذكر موته ودفنه ؟ يزعم بعضهم أن هذا الفصل كتبه يشوع وأنى يصح هذا وفى الفصل الحكاية عن يشوع وانه امتلأ روحاً وحكمة فسمع له كل بنى إسرائيل فهذه حكاية عنه من غيره . ثم كيف يدلس يشوع و يلحق بكتاب موسى ما ليس منه من غير ان ينسبه إلى نفسه ؟ ولعلهم استدلوا على ذلك بأن كتاب يشوع قد ابتدىء بواو العطف فان أول عبارة فيه هى : « وكان بعد موت موسى عبد الرب » الخ . وهناك دليل على ان الفصل الأخير ليس ليشوع أقوى من الحكاية عنه ومن تبرئته من التدليس وهو أن فى الفصل المذكور بعد حكاية دفن موسى هذه الجملة « ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم » فهى تدل على ان الجملة كتبت بعد موسى بزمن طويل ولو كانت ليشوع لم تكن كذلك . وحسبنا أنهم من ذلك فى شك مريب فكيف يوثق بهذا الكتاب و يقال إنه متواتر وعن التواتر والأصل مشكوك فيه ؟

فى الفصل الحادى والثلاثين من سفر تثنية الاشتراع ما نصه . « ٢٤ فعند ما كمل موسى كتابة هذه التوراة فى كتاب إلى تمامها ٢٥ أمر موسى اللاويين حاملى تابوت عهد الرب قائلا ٢٦ خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب الهكم ليكون هناك شاهدا عليكم ٢٧ لأنى أنا عارف تمردكم ورقابكم الصلبة . هوذا وأنا بعد حى معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحرى بعد موتى ٢٨ اجمعوا إلىّ كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق فى مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والأرض ٢٩ لأنى عارف انكم بعد موتى تفسدون وتزيغون عن الطريق الذى أوصيتكم به » الخ

فهذه هى التوراة التى كتبها موسى على حدة فى كتاب مخصوص وهى كلام

الله الذى صدقه القرآن فأين هى ؟ ماذا فعل بها أولئك الذين قال فيهم موسى إنهم يفسدون بعده و يزيغون عن طريق الحق الذى هو التوراة ؟ وماذا أصاب التوراة من فسادهم وزيغهم وغلظ رقابهم ؟؟ التوراة معناها الشريعة وهذه الاسفار الخمسة كتب تاريخية يوجد فيها من أحكام تلك الشريعة مثلما يوجد فى كتب السيرة النبوية عند المسلمين من آيات القرآن وأحكامها وليست السيرة هى القرآن والشرع الإسلامى . وكما يوجد فى السيرة النبوية مع التحرى فى رواياتها ما يصح ومالا يصح فأجدر بتاريخ موسى وغيره من أنبياء بنى إسرائيل أن يوجد فيها ما يصح وما لا يصح وهى لم يتحر فيها كاتبها بعض تحرى رواة المسلمين لسيرة نبيهم بل قدمنا ان كاتبى تلك التواريخ مجهولون

اعترف صاحب كتاب « خلاصة الأدلة السنية . على صدق أصول الديانة المسيحية ، استظهارا بأن نسخة موسى « رفعت من مكانها مرة ووقعت فى خطر لما غلبت عبادة الاصنام فى ملك منسا وأمون وانقطعت عبادة الله الحقيقية بين الاسرائيليين وفى تلك المدة طرحت بين الرثث [1] حيث وجدت فى ملك يوسيا الصالح » ثم قال : « والأمر مستحيل ان تبقى نسخة موسى الأصلية فى الوجود إلى الآن ولا نعلم ماذا كان من أمرها . والمرجح انها فقدت مع التابوت لما خرب بختنصر الهيكل . وربما ذلك سبب حديث كان جاريا بين اليهود على أن الكتب المقدمة فقدت وأن عزرا الكاتب الذى كان نبيا جمع النسخ المتفرقة من الكتب المقدسة وأصلح غلطها و بذلك عادت إلى منزلتها الأصلية » اه

فهل ينخدع المطلع على هذه الأقوال وأمثالها بقول صاحب كتاب الأبحاث

---

(١) الرثث جمع رثة بالكسر وهى سقط المتاع والخلقان كالخراق البالية وغيرها مما ألقى فى أخس مكان ولا يلتفت اليه

إن الكتاب كان محفوظا بين الالوف بلغات كثيرة ؟ ؟ هؤلاء علماء اللاهوت فى فى مذهبه يعترفون بأن اليهود فقدت منهم عبادة الله بعدماتغلبت عبادة الأصنام وأن نسخة التوراة الوحيدة فقدت و يستحيل وجودها . و يعترفون بأن اليهود كانوا يقرون بأن جميع كتبهم فقدت لأنها كانت فى الهيكل وقد خر به الوثنيون وأخذوا الكتب وأتلفوها . فلم يبق لهم مستند لأصل دينهم إلا زعم يوسيفوس بأن كل سبط من أسباط بنى إسرائيل كان عنده نسخة من التوراة ولكن أين هذه النسخ؟ إن صح قوله — وهو رواية واحد بما يؤيد دينه — فتلك هى النسخ التى أتلفها بختنصر فيبقى معنا شىء واحد وهو ادعاء أن عزرا الكاتب كتب جميع كتب اليهود كما كانت بل صحح غلطها الأول وكتبها أحسن مما كانت ، وههنا يسأل المسلمون عن الدليل على ذلك وعن سبب وقوع الغلط فى النسخ حتى احتاجت إلى إصلاح عزرا وعن نسخة التوراة التى هى شريعة مستقلة كما كتبها موسى وعن السند المتصل المتواتر إلى عزرا بذلك ؟ ثم انهم يقولون إذا جاز أن يصحح عزرا الكاهن خطأ الكتب المقدسة فلم لايجوز ذلك لمحمد رسول الله وخاتم النبيين ؟ اللهم إن الغرض مرض فى القلب يحول بينه و بين قبول الحق فألهم اللهم هؤلاء الناس بأن يطلبوا الحق بصدق و إخلاص وافصل بيننا و بينهم بالحق وأنت خير الفاصلين .

هل جاء فى كتبهم المقدسة ان عزرا كتب التوراة وسائر الكتب المقدسة كما كانت ؟ كلا انه جاء فى الفصل السابع من سفر عزرا انه فى ملك ارتحشستا ملك فارس صعد عزرا (وذكر نسبه إلى هرون وهو يدلى اليه بخمسة عشر أباً) هذا من بابل وهو كاتب ماهر فى شريعة موسى التى أعطاها الرب إله إسرائيل . وأنه جاء إلى اورشليم فى الشهر الخامس من السنة السابعة لارتحشستا الملك . قال « (١٠) لان عزرا هيأ قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها وليعلم إسرائيل فريضة وقضاء (١١) وهذه صورة الرسالة التى أعطاها الملك ارتحشستا إلى عزرا

الكاهن كاتب كلام وصايا الرب وفرائضه على إسرائيل (١٢) من ارتحشستا ملك الملوك إلى عزرا الكاهن كاتب إله شريعة السماء » إلى آخره

هذا هو دليلهم من كتابهم المقدس على ان عزرا كتب التوراة والكتب المقدسة بالالهام بعد فقدها وهو كما ترى لايدل على ذلك بل قصارى مايعطيه أنه كان من كتبة الدين أو الشرع كما تقول ان فلاناً الصحابى كاتب الوحى فلو فرضنا أن القرآن فقد من المسلمين وأنه لم يحفظ فى الصدور ثم ادعينا ان معاوية كتبه بالإلهام لأنه وصف فى بعض كتب التاريخ الدينية بانه كاتب الوحى فهل يقبل منا أهل الكتاب هذا الدليل .

ثم ان الملك ارتحشستا الذى شهد لعزرا هذه الشهادة التى لانعرف سببها أمره مبهم فى التاريخ لاينطبق على روايات العهد العتيق المضطربة فى سفر نحميا وسفر عزرا فلا يعرف اهو ارتحشستا الأول الذى هو ازدشير الملقب عند الفرس بزرادشت أم هو ارتحشستا الثانى فان ذكر عزرا له بعد داريوس يدل على أنه الأول والتاريخ ينقض هذا ، ولا نطيل فى بيان الاضطراب فليرجع اليه من شاء فى كتب التاريخ وفى دائرة المعارف ملخص منه وهذا الاضطراب يبطل الثقة بالرواية والمسلمون لايقبلون خبرا عن نبيهم رووه بالاسناد المتصل القريب إذا كان فيه مثل هذا الاضطراب العجيب . اه ص ٧٤٣م٤٠

المقالة العاشرة

﴿ عصمة الأنبياء والخلاص ﴾

(لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُم وَلاَ أَمانِيّ أَهْلِ الْكِتَاب ، مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ الله وَلِيًا وَلاَ نَصِيراً وَمَن يَعمَلْ مِنَ الصّالِحَات مِن ذَكَرٍ أَوأُنْثَى وهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُلئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ولاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً)

ذكرنا فى نبذة سابقة أننا طلاب مودة والتئام وان المناقشات فى الأديان والمذاهب قليلة الجدوى وربما أضرت ولم تنفع لأن أكثر الناس مقلدون وما أضيع البرهان عند المقلد ! ! وقلنا إن هؤلاء المبشرين الأنجيليين اضطرونا إلى الرد على تمويههم بمايرسلون الينامن الكتب والجرائد التى تطعن فى عقائدالمسلمين ويلحون علينا بأن نرد عليها وقد انضم إلى إلحاحهم طلب كثيرين من المسلمين يقولون ليس فى القطر مجلة إسلامية انشئت لخدمة الدين مع العلم الا المنار فيجب عليها ردالشبهات التى توجه إلى الإسلام . فبهذا وذاك صار من الواجب علينا بحكم ديننا الرد على هذه الكتب والجرائد وأثم شرعا بتركه .

« كلما داويت جرحاً سال جرح » فقد كنا نرد على آخر كتاب لهم جمع خلاصة شبهاتهم وإذا نحن بجريدة بشائر السلام ترد إلينا من غير طلب ولاسبق مبادلة . ثم فى هذه الأيام أرسلت إلينا جريدة (راية صهيون) الانجيلية مكتوبا عليها : أرجو الاطلاع على مقالة خطية الأنبياء والرد عليها

تكاثرت الظباء على خراش فلا يدرى خراش مايصيد

ولكن القليل من آيات الحق يكفى لإزهاق الكثير من الباطل لذلك نقول :

ابتداء هذه المقالة « إن المسلمين يقولون إن الله أرسل أنبياء كثيرين إلى العالم وأعظمهم ستة وهم آدم ونوح و إبراهيم وموسى وعيسى أى المسيح ومحمد ، وكثيرون يقولون بأن كل هؤلاء الأنبياء كانوا بلا خطية ولذلك كانوا قادرين على إيهاب الخلاص لتلاميذهم ولكن لو كانوا خطاة فما كانوا يتيسر لهم ذلك إذ لا يمكن للخطاة أن يخلصوا الآخرين من الخطية » هذا ماقاله بحروفه ثم تعقبه بدعوى أن من عدا المسيح من هؤلاء الأنبياء كانوا عصاة مذنبين مستدلا بما جاء فى قصصهم فى كتب العهد العتيق .

فأما معصية آدم فمعروفة ، وأما نوح فذكر أنه شرب الخمر واعترف الكاتب بأن التوراة لم تذكر له خطيئة غير هذه ولكنه جزم بأنه لا بد أن يكون خاطئا . وأما إبراهيم «فقد ورد عنه أنه كذب مرتين من باب الخوف من الناس» وأما موسى فذكر الكاتب من خطيئته أنه « حينما أمره الله أن يذهب إلى فرعون قد أظهر خوفا عظيما وجبنا زائدا جعل الله أن يغضب عليه . وحينما كان بنو إسرائيل فى البرية بعد خروجهم من أرض مصر قد فرط موسى مرة بشفتيه حتى أن الله لم يسمح له نظراً لهذا الذنب أن يدخل إلى أرض كنعان بل جعله أن يموت فى القفر ، واستدل على خطيئاتهم من القرآن العزيز بما ورد من الآيات فى طلبهم المغفرة إلا المسيح فانه لم يرد عنه ذلك . وختم المقالة بعد كلام طويل فى الثناء على السيد المسيح عليه الصلاة والسلام بدعوة المسلمين إلى الإيمان به (وهم المؤمنون به حقاً) والاتكال عليه فى خلاصهم (وهم لا يتكلون إلا على الله وحده) ويعنى بالإيمان به أن يكون موافقاً لمذهب بروتستنت فانه كتب نبذة فى الصفحة الأولى من هذا العدد بأن سائر الطوائف « مسيحيون بالظاهر وأما فى الحقيقة فليسوا كذلك» وأن الله سيلقيهم فى النار التى لا تطفأ . أما الرد على المقالة فمن وجوه

(الأول) أن أفضل الأنبياء عند المسلمين نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ويسمونهم أولى العزم وليس آدم منهم لقوله تعالى «ولم نجد له عزماً» ومن العلماء من منع التفاضل بين الرسل وقال إن ذلك لا يعرف إلا بالوحى .

(الثانى) إن المسلمين لا يعتقدون أن الأنبياء هم الذين ينجون الناس بسبب عصمتهم من عذاب الله ويدخلونهم بجاههم فى رحمته وإنما يعتمدون على الله تعالى وحده فى ذلك ويعتقدون أن سبب النجاة الإيمان الصحيح والعمل الصالح وأن الأنبياء ماأرسلوا إلا مبشرين ومنذرين فهم يعلمون الناس الإيمان الصحيح المقبول عند الله تعالى والعمل الصالح الذى يرضيه فمن آمن وعمل صالحا ترجى له النجاة بفضل الله تعالى الذى وفقه وهداه ومن كفر بعد بلوغ الدعوة بشرطها فلا يزيد الظالمين كفرهم إلا خسارا

(الثالث) إن هؤلاء المعترضين لم يعرفوا معنى عصمة الأنبياء عند المسلمين فتوهموا أنهم يقولون بذلك لاثبات أن الأنبياء ينجون الناس لأنهم معصومون . فنجيبهم بأن المسلمين قام عندهم الدليل العقلى على ذلك وهو أن الله تعالى جعل الأنبياء هداة ومرشدين ليقتدى بهم فلو ابتلاهم بالمعاصى التى هى مخالفة الشريعة التى يأتون بها لمـا كانوا أهلا للهداية لأن الله أودع فى فطرة البشر أن يقتدوا بالأفعال أكثر من الأقوال وقد أخبرونا أن الله تعالى أمر بالاقتداء بهم فلو كانوا يرتكبون مخالفة أمره لكان فى أمره بالاقتداء بهم تناقض وأمر بالشر وهو محال . وليس معنى عصمتهم أنهم مخالفون للبشر فى جميع أطوارهم فلا يخافون ممـا يخيف فى الدنيا ولا يتألمون مما يؤلم ولا يتوقون الشر (سنوضح المقام فى الأمالى الدينية بعد)

(الرابع) أنه لم ينقل عن سيدنا نوح فى العهد العتيق إلا شرب الخمر وفى هذه الأناجيل أن المسيح شرب الخمر أيضاً . فان قلنا بأن من لم ينقل عنه أنه عصى

يصلح أن يكون مخلصا للناس فنوج يصلح لذلك كالمسيح بل إن من صالحى هذه الأمة المحمدية كثيرين لم تحفظ عليهم معصية .

(الخامس) مانقله عن سيدنا ابراهيم مصرح بأنه كان للضرورة وارادة التخلص من شر وظلم أكبر من كذبة فى الظاهر لها تأويل فى نفس القائل كقول ابراهيم عن زوجته : هذه أختى : يعنى فى الدين . ومن القواعد المعقولة والمشروعة انه إذا تعارض ضرران يجب ارتكاب أخفهما فإذا حاول ظالم أن يغتصب امرأتك ليسترقها أو يفجر بها وقدرت أن تنجيها منه بكلمة كاذبة وجب عليك ذلك وتكون الكذبة معصية فى الصورة طاعة واجبة فى الحقيقة .

(السادس) أن ماذكره عن سيدنا موسى من الخوف ليس فيه معصية لله ومخالفة لشريعته وإنما هو شأن من الشؤن البشرية الجائزة وهو خوف هيبة وإجلال للوظيفة العظيمة التى كلف بها .

(السابع) إذا لم يصح الدليل العقلى على عصمة الأنبياء فعدم نقل المعصية عن المسيح لا ينافى وقوعهامنه لأنه لايلزم من عدم العلم بالشىء عدم وجوده فى نفسه

(الثامن) ان طلب الأنبياء المغفرة من الله تعالى لا يدل على انهم كانوا بعد النبوة عصاة مخالفين لدين الله تعالى ولكنهم لمعرفتهم العالية بالله تعالى وما يجب له من الشكر والتعظيم يعدون ترك الأفضل إذا وقع منهم فى بعض الأوقات ذنباً وتقصيراً . ألم تر أن للمقربين من الملوك والسلاطين ذنوباً غير مخالفة لقوانين يطلبون من الملوك العفو عنها « ولله المثل الأعلى » وسيأتى إيضاح ذلك فى الأمالى الدينية .

(التاسع) إذا فرضنا أن دليل المسلمين على عصمة الأنبياء غير صحيح فلا حجة للمسيحين عليهم فى شىء وانما ذلك شبهة على الدين المطلق اهـ ص٨١٦ م ٤

المقالة الحادية عشرة

(الخوف والرجاء عند المسلمين * والطعن بهما على الصحابة والتابعين)

نشرت مجلة بشائر السلام الانجيلية فى الجزء الرابع منهـا نبذة فى الطعن بالمسلمين عامة و بأكابر الصحابة الـكرام خاصة وذلك أن عابتهم وعابت دينهم بالرجاء لفضل الله والخوف من الله وهذا مبلغ القوم من العلم بالله و بدين الله — أثبتت « ان كثيرين من المسلمين يموتون على بساط الرجاء بدخول الجنة والتنعم بنعيمها بناء على ماهم من المواعيد الـكريمة فى قرآنهم » إلى أن قالت : « وما علة ذلك سوى جهلهم حقيقة أنفسهم وكمالات البارى تعالى » ثم قالت مستدركة إن أولى العلم والذكاء من المسلمين غالوا فى النسك والتعبد والصـلاة والابتهال إلى الله تعالى وجعلت علة هذه العبادة انهم لم يجدوا مايريح نفوسهم من الشعور بثقل حمل خطاياهم . واستشهدت على المعلول دون العلة بكلام فى الخوف من الله عن أبى بكر الصديق وعلى بن أبى طالب وسفيان الثورى وعدت سفيان من الصحابة وما هو من الصحابة ولـكن العلم ليس شرطاً للقول عند هؤلاء المشاغبين وفى العبارة أيضـا تحريف وليست الأمانة من شروط النقل عند هؤلاء المبشرين

ومالناوللبحث فى الروايات التى نقلتها و بيان التحريف وضعف الضعيف، نضرب عن ذلك صفحاً وعن العبارت الذى أساء بها الـكاتب الأدب مع هؤلاء الأئمة الذين يفتخر بهم النوع الانسانى ولو صدق المسلمون هذه الـكتب التى تسمى التوراة وسمح لهم دينهم بتفضيل أحـد على الأنبياء لـكانلهم من التاريخ ما يفضلون به هؤلاء الأئمة على أنبياء التوراة إذلم ينقل عن واحد منهم مثلما نقل القوم عن أنبياءهم من القسوة والظلم والسكر والزنا وسفك الدماء برّأهم اللهمما قالوا

نغض الطرف عن هذا ونبين للقراء أن الغرض من ذم الخوف والرجاء اللذين هما الركنان لكل دين صحيح هو تقرير قاعدة إباحة المعاصى والشرور التى هى العنوان لبشارتهم ، والجاذبة إلى ديانتهم ، وهى ان النجاة فى الآخرة من العذاب والحياة الأبدية فى الملكوت إنما يحصلان باعتقاد ان الاله لم يجد وسيلة لنجاة البشر من ذنب أبيهم آدم الا بحلوله فى جسم إنسان وتسليط طائفة كانت أفضل الشعوب عليه وصلبها إياه وصيرورته ملعوناً بحكم الناموس والشريعة !! فمن أطفأ سراج عقله وأفسد فطرة نفسه وسلم بهذه القاعدة فهو الناجى الذى يرث الملكوت الأعلى وان قتل وزنا وسكر وأكل أموال الناس بالباطل وظلم العباد وكان آفة العمران . ولذلك صرح الكاتب الذى لا أقدر ان أصفه إلا بكونه مبشراً داعياً إلى هذه العقيدة بأن سبب خوف أبى بكر وعلىّ وسفيان من الله هو جهلهم بقاعدة الفداء. يعنى أنهم لو عرفوها وصدقوا بها لكانوا عاشوا آمنين من مكر الله وعذابه يسرحون ويمرحون فى أهوائهم وحظوظهم . والحاصل أن المسلم الذى يغلب عليه الرجاء بفضل الله ووعده للمحسنين بالنعيم جاهل ضال ، والذى يخاف الله هيبة وتعظيما أو لاتهام نفسه بالتقصير فى الاعمال الصالحة النافعة للناس ، وفى المعارف والكمالات المزكية للنفس ، فهو جاهل ضال ؛ وأن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله من غير تفرقة بينهم، وتهذيب الاخلاق و إصلاح الأعمال كل ذلك لاينفع المسلم الصادق ولا يغنى عنه شيئا. فما حيلة المسلم المسكين إذا ابتلاه الله تعالى بسلامة الفطرة ونور العقل ، فلم يقبل تلك القاعدة التى تفصىّ منها الذين تربوا عليها تقليداً لما عقلوا وميزوا ، على أن كتب القوم لاتخلو من نصوص تدل على أن رسلهم ومقدسيهم كانوا يخافون من الله تعالى و يرجون رحمته ، لأنهم لم يكونوا إباحيين ، بل كانوا قوماً صالحين .

إن القرآن الحكيم علمنا أن دين الله تعالى واحد فى جوهره ، وأن جميع الانبياء وصالحى المؤمنين بهم كانوا عليه وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن صفات الحوادث

و إفراده بالعبادة والخوف الزاجر عن المعاصى والشرور والرجاء الباعث على الخير والصلاح . واننا نرى جميع عقلاء المسيحين يوافقوننا على هذه القاعدة و يودون أن يهتدى إليها دعاة كل دين ورؤساؤه ليكون الدين كما شرع الله سعادة للبشر لا و بالا وشقاء عليهم ومثاراً للخلاف والشحناء والبغضاء بينهم .

وقد ذكر الإمام الغزالى أنوعاً للخوف كخوف الموت قبل التوبة وخوف نقض التوبة ونكث العهد ، وخوف ضعف القوة عن الوفاء بالحقوق ، وخوف زوال رقة القلب وتبدل القساوة بها ، وخوف الميل عن الاستقامة ، وخوف استيلاء العادة فى اتباع الشهوات المألوفة ، وخوف الغرور بالحسنات ، وخوف البطر بكثرة النعم وخوف الاشتغال عن الله بغير الله ، وخوف الاستدراج بتواتر النعم ، وخوف انكشاف غوائل الطاعات بأن يبدو للمرء مالم يكن يحتسب ، وخوف تبعات الناس عنده فى نحو غيبة أو خيانة أو غش أو إضمار سوء وخوف ما عساه يطرأ عليه فى مستقبله ، وخوف نزول البلاء ، وخوف الاغترار بزخرف الدنيا ، وخوف اطلاع الله على السريرة فى حال الغفلة ، وخوف سوء الخاتمة . و يمكن استنباط أنواع أخرى . وأعلى الخوف خوف المهابة والاجلال لله عز وجل . وكل ذلك من الذنوب عند هؤلاء المبشرين اه ص ٩٨ م ٥

المقالة الثانية عشرة

(ايمان المسلمين وأعمالهم)

جاء في الجزء ٨ من مجلة بشائر السلام نبذة تحت هذا العنوان ملخصها : انه يجوز على مذهب أهل السنة « أن يؤمن أحد بالإسلام إيماناً حقيقيا ويبقى أعماله شريرة » واعترض الكاتب على هذا اعتراضين أحدهما « ان الايمان الذي لا ينشيء في صاحبه توبة وعملا صالحاً بل يتركه وسيئاته تفوق حسناته ومضاره تزيد عن منافعه . . . فهو إيمان باطل عديم النفع يحط من كرامة الخالق ويزيد في شقاوة المخلوق » . ثانيهما « عجز الايمان المحمدي عن الخلاص التام » وقد أورد الكاتب بعد الاعتراض الأول كلمات من كتب العهدين تدل على أنه يطلب من الإنسان أن يكون كاملا ولكنها لا تدل على أن المؤمن يكون معصوماً من الذنوب . وأورد بعد الثاني كلمات تدل أن الإيمان بالمسيح كاف للخلاص ولكن لم يشترط مع الإيمان عملا صالحاً .

لو كان هؤلاء المعترضون يعتقدون بما يقولون لكانت هدايتهم قريبة واقناعهم أقرب ، ولكنهم يلوكون الكلام ويلوون ألسنتهم بالكتاب ليفتنوا به عامة المسلمين الجهلاء، ولا يبالون إن كان الكلام حجة عليهم . عهدهم الجديد ناطق بأن البر والعمل بالناموس الالهي لا يغنيان عن الإنسان شيئاً وانما يغني عنه الإيمان بالمسيح فقط ، وبذلك ينجو ويرث الملكوت ، وإن كان شر الأشرار وأفجر الفجار ، والقرآن لا يكاد يذكر الايمان إلا مقروناً بذكر العمل الصالح . وورد في السنة الصحيحة أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان وهذه السنة مؤيدة بخمس وسبعين آية من القرآن . وهذا ماعدا الآيات التي ذكر فيها العمل الصالح بدون ذكر الإيمان .

قال تعالى (و إنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى) وقال عز وجل (ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب . من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيراً . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً) وقال جل ذكره (انما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * أولئك هم المؤمنون حقاً) وقال تقدست أسماؤه(والعصر إن الإنسان لفى خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) فهذه السوره القصيرة أجمع للفضائل وأبلغ فى الهداية من جميع الكتب التى فى العالم سماوية كانت أو غير سماوية، وهى كافية لأن تكون دينا مستقلا لقوم يتدبرون

ان الشبكة التى يصيد بها الجاهلين هذا الكاتب وأمثاله إلى المسيحية هى أن خلاص الانسان محصور فى أن يؤمن — أى يقول وان لم يعقل — بأن الاله مركب من ثلاثة أصول كل واحد منها عين الآخرين ، فالثلاثة واحد وأن أحد الثلاثة وهو الابن حل فى جسم إنسان بواسطة آخر وهو روح القدس فصار هذا الانسان الاله وابن الاله وإنساناً وابن الانسان وصار هو الله، ثم إنه سلط أعداءه على نفسه فصلبوه واحتمل الالم واللعنة الالهية لأجل خلاص الناس من ذنب أبيهم آدم وذنوبهم لأنه لم يجد غير هذه الطريقة لخلاص عباده

لا يطلب هذا الكاتب وأمثاله ممن يدعوهم إلى دينه إلا هذا القول الذى لا يعقل ولا يحمل النفس على عمل صالح بل يجرئها على جميع المعاصى والجاهل يحب أن تباح له المعاصى ويكون ناجيا بكلمة يقولها . فاذا كان دعاة النصرانية قد بدا لهم أن يشترطوا معهذه الكلمة التى يسمونها إيمانا ترك المعاصى والأعمال الصالحة فأية مزية لدينهم غير تلك الكلمة التى لا تعقل ولا تفهم ؟ ألا يعلم انه إذا دعا مسلما إلى دينه وطالبه بترك المعاصى وبعمل الصالحات فانه لا يستطيع أن يصيده

مهما كان جاهلا لأنه يقول ان هذا يكلفني بمثل مايكلفني به ديني ويزيدعلى ثقلا آخر وهو الايمان بما لاأعقله ولا أفهمه ، وهو أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد وان الله عجز عن انجاء الناس بدون أن يهين ذاته العلية بالحلول فى أحدهم وبالتألم ويلعن نفسه.

المسلمون يعتقدون أن الايمان يهذويصلب الأخلاقلعمح لاا وأنه يجوز مع ذلك أن تغلب على المؤمن شهوته أو غضبه فيعمل شرا لاسيما إذا لم يتربى على أعمال الايمان من النشأة الأولى ولكنه يرجع ويتوب عن قريب. قال تعالى (ان الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون) وقال سبحانه (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم) ومن التوبة أن من يعمل صالحا يكفر سيئته (ان الحسنات يذهبن السيئات) فاذا قصر فهو تحت مشيئة الله

فتبين مما ذكرنا بالاختصار أن الايمان عند المسلمين يثمر الاعمال الصالحة وان العمل لاقيمه له فى إيمان النصارى . أما قول جملة بشائر السلام فى نتيجة الاعترض الأول : « وبناء على ماتقدم كل إيمان لايكون الكمال غايته والتقوى ثمرته فهو اما إيمان كاذب بالاله الحق كإيمان النصارى بالاسم واليهود بالاسم أو ايمان صادق لكنه باله باطل خيالى قائم على الأوهام» فهو مسلم ولقد أنصفت فيما كتبت عن ايمان النصارى ولم يكن من شأنها ذلك فان إيمانهم ليس الا أسماء سموها وأقوالا لا تعدو الفم لأن العقل ينكرها ولا يستطيع أن يتصورها . وأما قولها بعد ذلك « وأظنك لم تنس ذكر القوم الذين هم على الإسلام بالاجماع وهم مع ذلك من أهل العصيان والفجور بحيث يحكم عليهم بالسجن فى جهنم مدة لاتنقص عن تسعمائة سنة ولا تزيد عن سبعة آلاف » الخ . فهذا التحديد فيه لم يصح فى كتاب ولا سنة فهو لايعتد به عند المسلمين وان ذكر فى بعض الكتب فكم فى الكتب من أحاديث موضوعة وأقوال مكذوبة ولاحجة علينا إلا فى القرآن الكريم والاحاديث

الصحيحة . وأما كلام المؤلفين فى أمور الآخرة فلا يعتد به مالم يكن منقولا على أنه لايجب الايمان فيما يتعلق بعالم الغيب لابالقرآن والاحاديث المتواترة وهى قليلة جدا . وهذا الذى قلناه هو الأصل المعول عليه عند المسلمين

وأما قوله تعالى (وإن منكم إلا واردها) فليس خطابا للمسلمين كما زعم الكاتب لأن الآيات التى قبلها كلها فى الكفار، فقيل ان الخطاب لهم خاصة، وقيل انه عام والمراد بورود المؤمنين حينئذ المرور عليها والجثو عندها قبل دخول الجنة وبذلك يعرفون مقدار نعمة الله تعالى عليهم بدخول الجنة.

(كلمتان) أختم هذا الرد بكلمتين أولاهما للمسلمين الذين يرسلون الينا هذه الجرائد لنرد عليها : لايحزنكم أيها المسلمون هذا الاعتداء الذى لم تعتادوه ولاتعدوه من سيئات حرية المطبوعات فهو من حسناتها لأن هذا الاعتداء على الطعن بدينكم هو الذى يوقظكم من نومكم ويبعث فيكم شعور البحث والاستدلال ويحيى فيكم روح الغيرة الملية والمباراة القومية حتى تعرفوا حقائق دينكم بالبراهين والدلائل والبحث لايزيد الحق إلا ظهورا

والكلمة الثانية للنصارى المعترضين . الذين يسمون أنفسهم مبشرين ، وهى : اننا نعتقد انكم تطعنون بدين الإسلام الذى لولاه ما ثبت دين فى هذا العصر المنير مأجورين لامعتقدين بما تقولون وما تكتبون ، ولذلك يترك أحدكم التبشير إذا عزل من الجمعية ومنع عنه الراتب الذى كان له ، ولو كنتم تعتقدون بالدين لعلمتم أن دين الله واحد وهو تنزيه البارى وتوحيده والإخلاص فى عبادته وترك الشرور وعمل البر ونفع العباد ، وكنتم ترون ان الاسلام قد خدم العالم الإنسانى بهذا الإصلاح المنقح وأنه هو دين الأنبياء أجمعين ظهر فى أكمل ارتقاء ، وأخرج أهل الكتاب من الخلاف والمشكلات ولكن الهوى يصدكم عن هذا فاعملوا على مكانتكم إنا عاملون ، وانتظروا إنا منتظرون . اه ص ٤٣٦ م ٥

المقالة الثالثة عشرة

﴿ سخافة بشائر السلام فى الجاهلية والاسلام ﴾

نشرت مجلة بشائر السلام الإنجيلية فى جزئها التاسع نبذة فى الجاهلية والاسلام زعمت فيها أن الاسلام فى عقائده وأعماله دون الجاهلية وقد توسعت فى الكلام على الركن الأعظم فى الايمان وهو توحيد الله تعالى فزعمت أن الاسلام زاد الجاهلية وثنية على وثنيتها ! ! ! واحتجت على ذلك بستة أمور :

(١) كون الايمان بمحمد محتما بعد الايمان بالله تعالى ، فجعلت هذا شركا بالله ، وما هذا إلا الايمان بالوحى والرسل ، فان من ينكر نبوة موسى أو عيسى كافر عند المسلمين كمن ينكر نبوة محمد عليهم الصلاة والسلام. فيظهر أن الايمان بالوحى شرك ووثنية عند الكاتب الانجيلى . وتعبيره بمقارنة الاسمين فى الشهادتين لايزيد الشبهة قوة فان صيغة الشهادة المروية فى الصحيحين هى « أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له أشهد أن محمدا عبده ورسوله » فهل يكون العبد ربا وإلهاً ؟ ؟ وأما المقارنة فى الذكر قولا وكتابة فهى لا تمتنع إلا إذا حرم ذكر الله تعالى ومنع بالمرة ؟ ألا يقول الكاتب : رحم الله فلانا : ونحو هذا ؟ وقد كبرت على الكاتب كلمة توجد فى بعض كتب المسلمين ، وهى أن كلمتى الشهادة مكتوبتان على العرش قبل خلق السموات والأرض . القول بهذه الكتابة ليس من عقائد الاسلام فمن عاش ومات ولم يسمع بها أو سمع ولم يصدق بأنها وردت فى الحديث بالمرة فلا يعدّ هذا ولا ذاك نقضاً لإيمانه ولا نقصاً منه ، وإذا قلنا إن هذه الكتابة ثبتت وصحت فأى وثنية فيهما ، والإله إله والعبد عبد ؟ نعم إن ذلك يدل على التشريف ، وهل يقول الكاتب إن جميع عباد الله سواء فى معرفته وعبادته ونفع خلقه وأن تشريف بعضهم وتفضيله على الآخر شرك بالله ، وأن التوحيد الخالص هو أن يعتقد الانجيلى بأن موسى كفرعون وإبراهيم كنمرود بلا فرق ؟ هذا هو فهم دعاة النصرانية فى الدين ، وهذا ماينقمون من المسلمين ، والحمد لله رب العالمين

(٢) زعم الكاتب ان المسلمين أنزلوا حديث النبي منزلة القرآن وجعلوهما سواء فى أخذ الأحكام مع اعتقادهم بأن القرآن كلام الله والحديث كلام محمد . وزعم أن الشيعة تركوا الحديث فأسخطوا أهل السنة . وكل من الزعمين باطل فأهل السنة لايقولون بأن القرآن والأحاديث سواء والشيعة لم يرفضوا الأحاديث . القرآن أصل الدين والسنة مبينة له قال تعالى (وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم) وللقرآن خصائص ومزايا ليست للسنة كوجوب الإيمان بجميع مافيه وكالتعبد بتلاوته ، وأما الأحاديث فلا يضر فى الإيمان إنكار أى حديث منها (ومن ثبت عنده شيء بالتواتر لايستطيع إنكاره و إن لم يكن حديثا فلايجيء الحديث المتواتر هنا) وهى على أقسام فما كان منها متعلقا بأمور الدنيا لايجب الأخذ به و يجوز أن يكون خطأ كما فى حديث تأبير النخل الصحيح ، وفيه انه ﷺ قال «أنتم أعلم بأمور دنياكم » وما كان متعلقا بأمر الدين فاما أن يكون عن اجتهاد و إما أن يكون عن وحى . أما اجتهاد الأنبياء فقد جوّز علماء أهل السنة أن يقع فيه الخطأ ولكن لايقرون عليه ، بل يأتيهم الوحى ببيان الحق فيه كما فى واقعة أسرى بدر . وأما مايقولونه عن وحى من الله فيجب الأخذ به ، و يفرق المسلمون بين القرآن و بين الوحى الذى يعبر عنه النبى بعبارة من عنده و يسمى عند المسلمين خبراً وحديثاً بماتقدم ، و بأنه إذا وقع تعارض بينهما ولم يمكن الجمع يعمل بالقرآن دون الحديث . فالحديث الصحيح فى المرتبة الثانية لايمكن أن يساوى القرآن ولذلك سأل النبى ﷺ معاذا عند ما أرسله إلى اليمن بماذا يحكم فقال بكتاب الله ، وانه إذا لم يجد يحكم بالسنة فأجازه على ذلك ، وهذا هو المروى عن أبى بكر وعمر وغيرهم من أئمة الدين ، أى انهم كانوا ينظرون فى القرآن أولا فان رأوا فيه حكم ما يطلبون قضوا به وإلا بحثوا فى السنة وعملوا بها . فلينظر المسلمون كيف يخترع المسيحيون لهم أصولا للدين ، ويبنون عليها رميهم بالشرك المبين ، فهذا هو تعصبهم وهذا تساهلنا والحمد لله رب العالمين .

(٣) قال : « الثالث ذكر اسم محمد مع اسم الله فى مواضع جمة من القرآن نظير شريك له فى الأمر والنهى والحل والربط ووجوب الطاعة له والمحبة » الخ وقال الكاتب انه لايذكر الشواهد إلا من سورة التوبة وحدها ولكنه ذكر ثلاث آيات اثنتان منها من التوبة والثالثة من الأحزاب ، وقد حرف الآيتين مع وضعهما بين علامات تدل على انه نقلهما بنصهما فكتب (ان الله برىء مما يشركون ورسوله) والله تعالى يقول (ان الله برىء من المشركين ورسوله) وكتب (وما كان لمؤمن أو مؤمنة) الخ والله تعالى يقول (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً) الآية . أما الجواب عن الشبهة فهوا واضح وهو ان أحكام الله تعالى إنما تؤخذ عن رسوله ، فكل ما يقضى به الرسول من أمر الدين فهو مبلغ له عن الله تعالى ويصح اسناده إليه كما يصح اسناد الحوادث الطبيعية إلى اسبابها لان الله تعالى جعلها مرتبطة بها ولا يسمى شىء من هذا شركا . وكأني بالكاتب يقول ان دينه يحكم بشرك من يقول « ينبغى للانسان أن يستحى من الله ومن الناس » ونحو هذا لانه قرن اسم الناس باسم الله فى حكم واحد .

فلينظر المسلمون إلى أمانة دعاة النصرانية فى النقل وليقابلوا بين ما ذكر من التحريف فى الآيات والخطأ فى العزو إلى السورة وبين ماوقع لنا مع أحد كبار العلماء ، وهو انه نبهنا إلى وجوب التنبيه على غلطة وقعت فى المنار نقلا عن الانجيل وهى « لم تجربوننى » وقد حذف نون الوقاية من الفعل بالطبع فطبعت (تجربونى) . وليتأمل المنصفون فى نقلنا عن القوم ونقلهم عنا للتمييز بين الصادقين والكاذبين ، والتزييل بين المتساهلين والمتعصبين ، والحمد لله رب العالمين .

قال (٤) : « الرابع اتخاذ المسلمين محمداً سيداً لهم » ثم استنبط من هذا ان المسلمين يعتقدون بأنهم عبيد لمحمد ، وقال ان هذا هو الشرك الذى عناه . وجوابه ان المسلمين لم يوجبوا أن يقول أحد عند ذكر النبي كلمة « سيدنا » ولم يرد الأمر بوصفه عليه الصلاة والسلام بذلك فى الكتاب ولا فى السنة . وقد

ذهب بعض العلماء إلى ان اضافة لفظ (سيدنا) على صيغة الصلاة الملحقة بالتشهد مكروهة . وقال بعضهم انها مستحبة لان هذا اللقب من ألقاب التكريم التى اعتادها الناس مع الكبراء ومع الاقران . واما استدلال الكاتب على هذه السيادة التى تستتبع الشرك عنده بآية « إن الله وملائكته يصلون على النبى » فهو غريب لأن الصلاة من الله الرحمة ومن غير الله الدعاء كما صرح بذلك العلماء . فلو كان كل من نطلب له الرحمة إلها لنا وكل من نخاطبه بلقب السيادة الها لنا لكان لنا وللكاتب آلهة لاتحصى ! ! ! نعم ان المسلمين يعتقدون ان محمدا أفضل الأنبياء والمرسلين ويعبرون عن ذلك بالسيادة، والأنبياء أفضل بنى آدم فهو أفضل بنى آدم وسيدهم ، ولكنهم ليسوا عبيداً له . أما وجه تفضيله فهو ظاهر بأثره وقد كتبنا فيه وسنكتب أيضاً إن شاء الله . فليتأمل المتأملون فى تمحل هؤلاء الدعاة المسيحيين ، واستنباطهم الذى يضحك المحزونين ، والحمد لله رب العالمين .

(٥) قال : « الخامس مغالاة المسلمين فى قدمية محمد إلى أن قالوا انه نور كان قبل البشر » الخ، ونقول ان هذه المغالاة ليست من الدين فى شىء فلا توجد فى القرآن ولا فى كتب السنة الصحيحة ولا فى كتب العقائد وإنما توجد فى كتب القصص والموالد التى لا اعتبار لها والدين ينهى عن القول بغير علم ، على ان العامة الذين يروج عندهم هذا الغلو لا يختلفون فى حدوث نبيهم وغيره من الأنبياء، فلا يصح ان يسمى القائل بذلك مشركا بوجه ما ، ولينظر الناظرون مبلغ علم هؤلاء الناس بالأديان التى يحكمون ببطلانها ويدعون أهلها إلى تركها وليدلونا على مسلم يتكلم مثلهم بغير علم ، ويعتدى عليهم فى الدعوى ثم فى الحكم ، وحسبنا اننا من المسلمين ، والحمد لله رب العالمين .

(٦) قال «السادس والأخير اتخاذ المسلمين محمداً شفيعاً» ثم قال «واتخاذ المخلوق شفيعاً عند الله هو عين الشرك الذى كان عليه العرب فى الجاهلية لا أكثر ولا أقل » ثم ذكر ان اتخاذ الجاهلية شفعاء كثيرين أخف شركا من حصر المسلمين الشفاعة فى

شفيع واحد. على ان المسلمين لم يحصروا. والجواب : ان الشفاعة عند المسلمين هي الدعاء . ولذلك يقولون في الصلاة على الميت « وقد أتيناك راغبين إليك شفعاء له اللهم إن كان محسناً فزد في احسانه » الخ فكل مسلم شفيع بل كل مؤمن بالله يدعو الله تعالى لنفسه ولغيره ، والدعاء للغير يسمى شفاعة . كأن الكاتب الانجيلي يقول ان دينه يحكم بشرك كل من يذكر ميتاً كوالده أو غيره و يقول : رحمه الله تعالى : فهكذا يفعل (دين التساهل) يفتات أهله على المخالفين ، و إذا أجابوهم بالحق يدعونهم متعصبين ، ولكن هذا لايخرجنا عن تساهل المسلمين ، والحمد لله رب العالمين

و إن تعجب فعجب قول من اتخذوا نبيهم إلها : ان الذين يقولون إن نبيهم عبد الله ولكنه أفضل عباده لأنه نفع خلقه أفضل منفعة وهداهم باذنه أكمل هداية هم مشركون بالله لأنهم يعرفون فضل نبيهم و يسألون له رحمة الله تعالى و يطيعونه فيما يبلغه عن الله تعالى . !!

قال الكاتب بعد إيراد ماتقدم : « و يرد على ذلك اتخاذنا نحن النصارى السيد المسيح شفيعاً وحيداً بين الله والناس على ما جاء في الانجيل . فأجيب إذا كنا معتقدين ان المسيح مخلوقا (كذا) واتخذناه شفيعاً وحيدا أومعه غيره نكون بلا شك مشركين ، ولكن إذا كان المسيح بالحقيقة كلمة الله الأزلى « هو الخالق وغير المخلوق الذى كان به كل شيء و بغيره لم يكن شيء مما كان ، فلسنا مشركين بل نعبد إلها واحدا تبارك اسمه » !!!

يعني ان الشرك هو اعتقاد الناس أن نبيهم عبد لله وان شفاعته دعاء لله ، وأن التوحيد الخالص هو اعتقاد الناس أن نبيهم الذى ولد منذ ١٩٠٢ هو الله القديم الأزلى الخالق لكل شيء مما كان قبله وما يكون بعده . وانه شفيع بمعنى انه واسطة بين الناس و بين نفسه ، يصلبهاو يلعنها لانجائهم!! بخ بخ ما أحسن هذا التوحيد!! هذه هي شبهات المسيحين المصلحين . فلله الشكر والمنة ان جعلنا مسلمين . وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين اه (ص٥١٧ م٥)

المقالة الرابعة عشرة

(فى رد مطاعن مجلة الجامعة فى الاسلام)

(يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ. وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ ...)

قد علم قراء المنار أننا لم نفتح هذا الباب للطعن فى دين النصارى أو غيره ابتداء، وانما فتحناه لرد شبهاتهم التى ربما تشكك الجاهل بالاسلام فى الدين مطلقا فتفسد أخلاقه، ويكون مصيبة على نفسه وعلى الناس. ولاغرض لطعن الطاعنين بالاسلام إلا هذا التشكيك الذى يحل الرابطة الاسلامية ويضعف المسلمين لأنه يخرجهم عن كونهم أمة فيكونون أفراداً مقطعين، لاجنسية لهم ولادين، ولو أنهم كانوا يطمعون فى تنصيرهم لـكان لهم عندنا بعض العذر. ولكن التجربة أفادت التاريخ أن الملايين من النصارى صاروا مسلمين ولا يوجد بازاء كل مليون من هؤلاء واحد من المسلمين تنصر إلا ما كان من أفراد ليس لهم من الاسلام إلا وراثة الاسم عن آبائهم الأولين.

قيل للسيد جمال الدين الأفغانى الحكيم الشهير (رحمه الله تعالى) ماسبب الدعوة إلى مذهب الدهريين فى الهند وعدم الاقتصار على الدعوة إلى النصرانية؟ فقال إن المسلم يستحيل أن يكون نصرانيا لأن الاسلام نصرانية وزيادة، فهو يأمر بالاعتقاد بنبوة عيسى وحقية دعوته ويرفض الخرافات والبدع التى زادتها الجمعيات النصرانية فى دينه. فلما جرب الذين يبتغون حل الرابطة الاسلاميه الدعوة إلى النصرانية فلم تنجح عمدوا إلى تشكيكهم فى أصل الدين المطلق بالدعوة إلى الدهرية

وكذلك لما رأى مثل صاحب الجامعة أن تشكيك المبشرين بالنصرانية لم ينجح فى المسلمين من الطريق الدينى انبرى لتشكيكهم من الطريق العلمى وبذل جهده لاقناعهم (١) بأن دينهم كغيره عدوّ للعقل والعلم و (٢) أن أئمتهم فى العقائد (المتكلمين) ينكرون الأسباب ، و (٣) أن جمع السلطة الدينية والسلطة السياسية المدنية فى خليفة الاسلام ضار بالمسلمين وموجب لتأخرهم. ومن رأى صاحب الجامعة أن المسلمين إذا أرادوا الترقى والنجاح فلا بد لهم من سماع نصيحته وهى (١) أن يضعوا دينهم فى جانب من العقل والعلم لأنهما قاضيان بهدمه كقضائهما بهدم النصرانية فاذا حاولوا الجمع بين الدين والعلم كما ينصح لهم بعض أئمتهم بما ينشر فى المنار وغيره فانما يحاولون محالا بل إنما يهدمون دينهم فيخرجون بلا علم ولا دين ، و (٢) أن يعتقدوا أن سنة الله تعالى فى الأسباب والمسببات مطردة فى الواقع خلافا لما يحكم به الدين وعلماء الكلام ، فاذا صدقوا الواقع فعليهم أن يكذبوا أئمتهم والعكس بالعكس . (٣) أن يجعلوا خليفتهم حاكما مدنياً يخترع الشرائع والأحكام ويتركوا ماشرعه الله لما شرعه السلطان ، ويجعلوا الدين خاصاً بالعبادة لله تعالى . أى أنه يجب على المسلمين فى رأى صاحب الجامعة أن يتركوا نصف دينهم وهو أحكام المعاملات الدنيوية ويجعلوا النصف الثانى لمن أراد أن يترك العقل والعلم والأسباب لأجل العبادة

هذا ملخص نصح صاحب مجلة الجامعة للمسلمين ولأجل أن يجعله مقبولا أورد لهم كلمات عن بعض أئمتهم حرفها عن معناها ليخدع البسطاء بها

وإننا نشرح هذه المسائل ونبين الحق فيها ليكون حجة على هؤلاء المعتدين الذين يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون .

الأسباب أو سنن الله تعالى فى الخلق

(وإثبات الإمام الغزالى لها)

ذكر صاحب الجامعة فى كتاب لفقه أننا أوردنا قوله تعالى (ولن تجد لسنة الله تبديلا) لاثبات أن النواميس الطبيعية لا تتغير ولا تتبدل ثم قال « مع أنه لو قام حجة الاسلام الامام الغزالى من قبره وسمع هذا القول لكسر قلم صاحب تلك المجلة وضحك من بساطته وعدم اطلاعه على الشؤون التى يبحث فيها لأنه استشهد بتلك الآية للغرض الذى ذكره مع أنها لم ترد فى القرآن لهذا الأمر بوجه الاطلاق » .

يقول هذا صاحب الجامعة تمهيداً لخلابة المسلمين بأن مايتحكم هو فيه من الحكم بتفسير كتاب الله برأيه الأفين مقتبس من الإمام الغزالى الذى حرف قوله عن موضعه ولم يفهم مراده منه .

إذا كان الغزالى يضحك من (بساطة) من أخذ معظم علمه فى الدين من كتابه إحياء العلوم اعتقاداً وعملاً ودرسه من أول نشأته المرة بعد المرة كما درس كل مااطلع عليه من كتبه بإمعان وإخلاص — فهل يضحك أو يبكى من (تركيب) جاحد معاند يلتمس من كلامه كلمة يحرفها عن موضعها ليغش المسلمين بشىء يخالف دينهم، محتجاً بكلام إمام من أئمتهم ولا موضع للاحتجاج ؟ نترك مثل هذا ونسرد مذهب الغزالى فى الأسباب وسنن الله تعالى ونبين الحق فى المسألة التى اشتبه فهمها على كثير من الناس حتى صار التشكيك فيها متيسراً لمثل صاحب الجامعة مع عوام المسلمين الذين لا يزال فيهم من يقرأ ما يكتبه ذهابا مع سماحة الاسلام

مذهب الغزالى : قال حجة الإسلام فى الفصل الثالث من كتاب التوكل ما نصه . « الأسباب التى يجلب بها المنافع على ثلاث درجات مقطوع به ومظنون ظنا يوثق به وموهوم وهما لا تثق النفس به ثقة تامة ولا تطمئن إليه . (الدرجة

الأولى) المقطوع به وذلك مثل الأسباب التى ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطا مطردا لا يختلف ، كما أن الطعام إذا كان موضوعا بين يديك وأنت جائع محتاج ولكنك لست تمد اليد إليه وتقول : أنا متوكل وشرط التوكل ترك السعى ومد اليد إليه سعى وحركة ، وكذلك مضغه بالأسنان وابتلاعه باطباق أعالى الحنك على أسافله : فهذا جنون محض وليس من التوكل فى شىء . فإنك إذا انتظرت أن يخلق الله تعالى فيك شبعا دون الخبز أو يخلق فى الخبز حركة إليك أو يسخر ملكا ليمضغه لك ويوصله إلى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى . وكذلك لو لم تزرع الأرض وطمعت فى أن يخلق الله نباتا من غير بزر أو تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام فكل هذا جنون وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن إحصاؤه » اه بحروفه .

وبعد أن قرر أن هذه الدرجة لا يأتى فيها التوكل بترك العمل تكلم عن الدرجة الثانية وهى ما كان السبب فيها مظنونا وبين أن التوكل لا يأتى فيها أيضا قال مانصه : « فاذاً التباعد عن الأسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى ، والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل دون الأسباب لا يناقض التوكل .

هذا التفصيل فى جلب المنافع وقد أورد مثله فى منعها وفى دفع المضرات التى أسبابها قطعية أو ظنية وبين أن التوكل إنما يكون فى ترك الأشياء الوهمية كالرقية والطيرة والكى التى ورد بها الحديث . ومما صرح فيه بذكر السنة الإلهية هنا قوله « وكذلك فى الأسباب الدافعة عن المال فلا ينقض التوكل باغلاق باب البيت عند الخروج ولا بأن يعقل البعير لأن هذه أسباب عرفت بسنة الله تعالى ، إما قطعا وإما ظنا ، ثم أورد الشواهد من الكتاب والسنة وهى مشهورة .

وقال فى الكلام على التداوى وهو من منع المضار هذه الكلمة الجليلة « ليس من التوكل الخروج عن سنه الله أصلا » وقال أيضا فى تداوى النبي ﷺ « وإنما لم يترك الدواء جريا على سنة الله تعالى وترخيصاً لأمته فيما تمس اليه حاجاتهم »

وأظهر من هذا قوله بعد شرح طويل للأسباب « فبهذا تبين أن مسبب الأسباب أجرى سنته بربط المسببات بالاسباب اظهاراً للحكمة والادوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الاسباب . فكما أن الخبز دواء الجوع والماء دواء العطش فالسكنجبين دواء الصفراء والسقمونيا دواء الاسهال لايفارقه إلا فى أحد أمرين أحدهما أن معالجة الجوع والعطش بالماء والخبز جلى واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالسكنجبين يدركه بعض الخواص فمن أدرك ذلك بعد التجربة التحق فى حقه بالأول . والثانى أن الدواء يسهل . والسكنجبين يسكن الصفراء بشروط أخر فى الباطن وأسباب من المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الاسهال . وأما زوال العطش فلا يستدعى سوى الماء شروطا كثيرة ، وقد يتفق فى العوارض مايوجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر . واختلال الاسباب أبداً ينحصر فى هذين الشيئين وإلا فالمسبب يتلو السبب لامحالة ، مهما تمت شروط السبب اه بحروفه .

فأى نص فى التلازم بين الأسباب والمسببات أقوى من هذه الجملة الاخيرة؟ فهذا هو الامام الغزالى الذى يوهم المسلمين صاحب الجامعة بأنه ينكر الأسباب وينكر أن معنى سنة الله التى لاتتبدل ولا تتحول الاسباب وارتباطها بالمسببات. فهل بعد هذا يوثق بقول صاحب الجامعة أو بحسن قصده؟ وهل يجوز لغير العالم الراسخ أن ينظر فى قول هذا المشكك الذى يريد أن يفسد على عوام المسلمين عقائدهم؟

﴿ التوفيق بين هذا وبين ماقاله فى تهافت الفلاسفة ﴾

مسألة الأسباب التى شرحها الإمام الغزالى فى كتاب التوحيد والتوكل هى مايعتقده المسلمون ، وإنما كتبها للمسلمين لأنه يبين فى هذا الكتاب مقام التوكل الذى هو أعلى مقامات الايمان ، وله كلام آخر فى هذه المسألة مع الفلاسفة لا مع المسلمين ، وكلامه هناك يجب أن يكون بلسان يخالف هذا اللسان ، ولكن لايناقضه ذلك أنه هنا يشرح الواقع الذى يدل عليه الوجود وينطق بموافقته الشرع وهناك

يتكلم على العلل والتأثيرات الحقيقية فى الايجاد والاعدام ، وما قاله فى الموضعين هو الحق الذى لا محيد عنه كما نبينه .

ولا بد قبل الخوض فى القسم الثانى من كلمة تمهيدية فى الموضوع ، وهى أن المغرورين بالظواهر من الفلاسفة المتقدمين كانوا ينزلون الأسباب المادية الظاهرة منزلة العلل العقلية القاطعة ، وينسبون اليها التأثير ، ويزعمون أنها مطردة اطرادا ضروريا يستحيل انفكاكه ، ولو نهضت لهم الحجة البالغة على ذلك لما خالفهم المسلمون ، لأن القاعدة المتفق عليها عند المتكلمين هى أن قدرة الله تعالى وارادته لا تتعلقان بالمستحيل ، وإنما تتعلقان بالممكن فقط . ولكن لا حجة لهم على ذلك وإنما هى شبهات كشف الحجاب عنها الغزالى وغيره . وتلك الأسباب التى مر القول فى اطرادها ممكنة ، فهى مطردة بفعل الله تعالى .

ولو سلم الناس بقول أولئك الفلاسفة لوقفت حركة العلم عند تلك الظواهر التى كانوا يرون تغييرها محالا عقليا ، وإنما المحال العقلى شىء واحد ، وهو اجتماع النقيضين ، أو الضدين المساويين للنقيضين أو ارتفاعهما . ولو أن هذه الغرائب التى كشفها العلم فى عصرنا ذكرت لأولئك الفلاسفة القاصرين لجزموا باستحالتها وأوردوا على ذلك من الشبهات النظرية مثلما أوردوه على القول ببعث الاجساد ، وأمثلة بعث الاجساد ظاهرة اليوم لعلماء الكيمياء ظهوراً تاماً .

قال الامام الغزالى فى كتاب تهافت الفلاسفة ما نصه « هذا ما أردنا أن نذكره فى العلم الملقب عندهم بالالهى . أما الملقب بالطبيعيات فهى علوم كثيرة نذكر أنواعها لتعرف أن الشرع ليس يقتضى المنازعة فيها ولا إنكارها إلا فى مواضع » وأنبه القارىء إلى عطفه الانكار على المنازعة لتغايرهما ، فالانكار هو القول ببطلان الشىء مرة واحدة ، والمنازعة هى المباحثة فى دليله ليظهر الصواب ، مأخوذة من منازعة الثوب بين اثنين . ثم قال الامام بعد سرد أنواع العلوم الطبيعية المعروفة إلى ذلك العهد « وإنما نخالفهم من جملة هذه العلوم فى أربع مسائل (الأولى) حكمهم بأن

هذا الاقتران المشاهد فى الوجود بين الأسباب والمسببات اقتران تلازم بالضرورة فليس فى المقدور ولا فى الامكان إيجاد السبب دون المسبب ولا وجود المسبب دون السبب ، وأثر هذا الخلاف يظهر فى جميع الطبيعيات ، إلى ان قال مانصه « وإنما يلزم النزاع فى الأولى من حيث إنه ينتفى عليها إثبات المعجزات الخارقة للعادة من قلب العصا ثعبانا واحياء الموتى وشق القمر ، ومن جعل مجارى العادات لازمة لزوما ضروريا أحال جميع ذلك ، وأولوا ما فى القرآن من احياء الموتى وقالوا أراد به ازالة موت الجهل بحياة العلم ، وأولوا تلقف العصا لسحر السحرة بابطال الحجة الإلهية الظاهرة على يد موسى شبهات المنكرين . وأما شق القمر فربما أنكروا وجوده ، وزعموا أنه لم يتواتر » ا ه بنصه

ولينظر طلاب الحقيقة إلى تحريف صاحب الجامعة النصرانية قول الامام كيف كان . الامام قال « وإنما يلزم النزاع فى الأولى من حيث إنه ينتفى عليها إثبات المعجزات ، ومعناه أن محل النزاع فى المسئلة الأولى هو انتفاء إثبات المعجزات بجعلها من المحالات العقلية التى لايمكن وجودها ولا تتعلق قدرة الله بها . وصاحب الجامعة يقول عن لسان هذا الامام مانصه : « ثم قال وإنما يجب علينا إنكار هذا القول لأنه ينتفى به إثبات المعجزات » : فجعل (الانكار) محل (النزاع) وزاد عليه جعله واجبا . وقد بينا الفرق بين الانكار والنزاع آنفا . فاذا كان نقل صاحب الجامعة عن رنان وعن غيره على هذا النحو من الفهم والامانة فاننا نهنىء من يقرأ ما يكتبه بأن علمه عين الجهالة ، وهدايته نفس الضلالة .

ثم قال الامام الغزالى فى بيان الحق فى المسئلة من طريق العلم المؤيد لما يعتقده المسلمون مانصه : «الاقتران بين مايعتقد فى العادة سببا وما يعتقد مسببا ليس ضروريا عندنا ، بل كل شيئين ليس هذا ذاك ولا ذاك هذا ولا اثبات أحدهما متضمن لإثبات الآخر ، ولا نفيه متضمن لنفى الآخر ، فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر ، ولا من ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر ، مثل الرى والشرب

والشبع والأكل . والاحتراق ولقاء النار . والنور وطلوع الشمس . والموت وجز الرقبة . والشفاء وشرب الدواء . واسهال البطن واستعمال المسهل . وهلمّ جراء إلى كل المشاهدات من المقترنات فى الطب والنجوم والصناعات والحرف . وان اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه لخلقها على التساوى لا لكونه ضروريا فى نفسه غير قابل للفرق بل فى المقدور خلق الشبع دون الأكل وخلق الموت دون جز الرقبة وادامة لحياة مع جز الرقبة وهلمّ جراء إلى جميع المقترنات وأنكر الفلاسفة امكانه وادعوا استحالته ، ثم ضرب لذلك مثالا واضحا لا حاجة لذكره

وما ذكره الامام الغزالى هنا هو ما عليه فلاسفة هذا العصر ، فانهم لا يقولون بأن شيئا من هذه المقترنات فى العادة المعروفة بالأسباب والمسببات هو ضرورى واجب عقلا وانفكاكه محال لا يتصوره العقل، بل كل هذه الأشياء عندهم ممكنة وانفكاك التلازم وقع كثيرا ويسمون ما لا يعرفون له منه علة « فلتات الطبيعة » وبعض الانفكاك كان عما اكتشفه العلم من أسرار الكون ويتوقعون بهذه الاكتشافات ما لم يقع كاحياء الموتى ، ولو كان فى نظرهم محالا لما توقعوه . ولكن صاحب الجامعة لا يميز بين الضرورى والممكن ، فيخلط المسائل بعضها ببعض . وقد صرح الغزالى فيما تقدم آنفا بأن المتلازمين فى العقل تلازماً يثبت به أحدهما بثبوت الآخر وينتفى بانتفائه هما اللذان يستحيل انفكاك تلازمهما لأن قدرة الله تعالى لاتتعلق بالمستحيل

الوفاق بين قولى الغزالى ومذهب باكون

تقدم أن الغزالى قال فى كتاب التوكل : إن سنة الله فى نظام الكون هى أن الأسباب مرتبطة فيه بالمسبباب ارتباطاً كليا لايختل إلا إذا لم تستوف الشروط التى يتحقق بها السبب حتى قال ان السبب يتلو المسبب عند عدم المانع « لامحالة » وفسر مثل قوله تعالى (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) بهذا النظام فى الارتباط بين الأسباب والمسببات وهو التفسير المتعين . وقال فى

كتاب تهافت الفلاسفة : ان هذا الارتباط بين الأسباب والمسببات العادية على اطراده ليس بضروري فى نظر العقل وعدمه ليس محالا وانما هو ثابت فى الواقع ونفس الأمر بحكمة خالق الكون ومدبره. واذا كان الله قد أحكم بحكمته الروابط بين حوادث الكون فينبغى للناس أن يبحثوا عنها ويهتدوا بها فى مصالحهم ومنافعهم ولا يتوقف هذا الاهتداء على كون كل ما يظهر فى العادة سبباً لشيء أن يكون انفكاكه عنه محالا عقليا

ويعلم الناظر فى فلسفة القدماء أنهم كانوا يعتمدون على الادلة النظرية فى الحكم باستحالة الشيء أو إمكانه أو وجوبه عقلا، فالغزالى وغيره من أئمة علم الكلام بينوا أن المستحيل العقلى هو ما كان بمعنى اجتماع النقيضين أو ارتفاعهما أو اجتماع الضدين بمعنى النقيضين. وقالوا : إن المستحيل والواجب الضرورى فى نظر العقل لا تتعلق بهما قدرة الله تعالى وانما تتعلق قدرة الله تعالى بالممكن فقط فكانت فائدة قول المتكلمين فى أمرين عظيمين هما أساس لترقى البشر (أحدهما) أن ما ثبت أنه ضرورى (واجب) أومستحيل لا يطمع فيه الطامع لا من جهة الكسب ولا من جهة الالتجاء الى الله تعالى لانه لا يتغير. (ثانيهما) أن للممكنات سننا منتظمة ينبغى للانسان أن يعرفها وينتفع بها ،ولكن لا ينبغى أن يوقف حركة استعداده عند ما يظهر له بادى الرأى أنه لا يتغير بل عليه أن يبحث لعله يقف على سنة إلهية أخرى تكون السنة التى ظهر له اطرادها مشروطة بها فيجمع بين الانتفاع بالسنتين معاً. مثال ذلك أن السنة الالهية الظاهرة فى النار أنها تحرق ما يقبل الاحتراق فلا ينبغى للانسان أن يجزم بأنه لا يمكن أن ينتفى هذا الاحتراق لانه ضرورى، بل عليه أن يبحث لأن الاحراق ممكن وربما يكون حصوله مشروطاً بانتفاء وجود مادة من المواد لو عرفت يمتنع الاحراق بها . وقد اكتشف الآن ما يمنع الاحتراق فى الجملة وانتفع به فى وقاية المكاتب العمومية

فبهذا التقرير أتى حجة الإسلام على تلك الفلسفة النظرية من القواعد (وان أساء ابن رشد فى فهم بعض قوله وكابره فى بعضه) وأظهر حكم الدين الاسلامى فى اطلاق العقل الانسانى من تلك القيود النظرية ليسبح فى ملك الله مهتدياً بسنن الله

فيه . وقد جرى (باكون) على هذا الأثر فقرّر أن الادلة النظرية لا يعتمد عليها في اثبات المسائل العلمية مالم تؤيد بالتجربة والاختبار. قال باكون هذه الكلمة التى يعدونها أساس النهضة العلمية الجديدة فى أوربا وقد كانت معروفة عند المسلمين من قبله (كما تقدم فى مقالات الاسلام والنصرانية) وما كانت عنده أكثر جلاء ووضوحا لأنه كان يعتقد بخلافها كالتنجيم والكيمياء القديمة وحجر الفلاسفة ، وهى أمور وهمية لا ترتقى إلى أن تكون نظرية مظنونة . ولكن أوربا كانت مستعدة بارتقاء العلم فيها إلى الأخذ بما قال من وجوب الاعتماد على التجربة والاختبار فعملوا بذلك وارتقى العلم به ، وعد باكون امام هذه الطريقة التى قررها المسلمون وعملوا بها من قبله .

والنتيجة أن صاحب الجامعة أخطأ فى زعمه ان الامام الغزالى أنكر الاسباب، وفى زعمه أن مذهبه فى السنن الالهية غير ماقلناه فى « المنار » وندعو اليه دائما، وفى زعمه أن بينه وبين قاعدة باكون سورا عاليا ،وفى زعمه أيضا أن التلازم بين الاسباب والمسببات أو النواميس إذا لم يكن ضروريا (أى واجبا عقليا يستحيل عدمه) تصير النواميس فوضى ، فان خالق الكون وواضع نواميسه إذا كان حكيما لايفعل شيئا إلا بنظام ، كما دل على ذلك كتابه العزيز، ودل عليه الوجود فكيف يكون الأمر فوضى ؟ ومن قال ان النظام فى الكون مشروط بكون الله تعالى غير قادر وغير حكيم ؟ ما قال بهذا إلا صاحب الجامعة النصرانية ليثبت أن مذهب المتكلمين المسلمين باطل في نفسه ومؤد إلى انكار حكمة الله تعالى وقدرته . ولم نر من المنكرين على الدين أشد تهافتا فى طعنه بالاسلام وأئمته الاعلام مثل هذا الكاتب الجليل الذى حاول الشهرة والنجاح من غير طريقهما كما فعل ذلك المعتوه الذى تخلى فى مذبح تلك الكنيسة العظيمة ليشتهر اسمه . فبئست الشهرة بمكابرة الحق وتحريف كلام الأئمة لأجل دريهمات تجيء من عدو للاسلام ، يحب ان أن ينشق من أهله ، ولو يزور الكلام ، وهو أعلى من أن تعرج اليه الأوهام .

المقالة الخامسة عشر

رد على إنكار الجامعة كون الاسلام دين العقل

كنا ولانزال نصرح بأن دين الاسلام هو دين العقل، وحجتنا الكتاب والسنة وكلام الأئمة، ولكننا ابتلينا بمن يشكك المسلمين في دينهم وفي الدعاة اليه بإيهامهم أن ما نقول ليس من الدين وأنه ضاربه لأن الاسلام يجب ان يكون كسائر الاديان التقليدية عدوا للعقل، وان بناءه على العقل مؤذن بهدمه كغيره، وانه لو كان معقولا لكان علما ولم يكن دينا - إلى غير ذلك من التشكيك، وإنما نأخذ ديننا عن الادلة العقلية والنقلية من كتاب ربنا لا عن المخالفين المشككين.

(بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم . إن في السموات والأرض لآيات للموقنين . وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون . واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها، وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون . ويل لكل أفاك أثيم . يسمع آيات تتلى عليه، ثم يصر مستكبراً، كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم)

هذا كتاب الله يقيم الأدلة والبراهين مطالبا بها أهل العقل باليقين في الإيمان، واليقين لا يكون إلا بالبرهان، ومعرفة الشيء ببرهانه هو أعلى العلم وأقواه . ولذلك قال تعالى بعد آيات ذكر فيها أهل الكتاب : (ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) . وقال بعد آية (هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون) والبصائر جمع بصيرة وهي الحجة توصل إلى اليقين . ثم قال في الجاحدين تقليداً (وقالوا اما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم به بذلك من علم إن هم إلا يظنون) فنفى عنهم العلم، وبين ان الظن لا ينفع في الدين، لان المطلوب فيه علم اليقين . كما قال

فى سورة النجم (وما لهم بذلك من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئاً » .

تلك آيات قصيرة تدل على ان الإسلام دين العقل وانه علم وانه يطلب فيه اليقين ولا يكتفى بالظن فى الإيمان بأصوله ، كوحدانية الله تعالى وعلمه وقدرته وبعثة الأنبياء ورسالة خاتمهم عليه وعليهم الصلاة والسلام . وقد جاء فى القرآن كلمة « يعقلون » بالياء والتاء نحو خمسين مرة ، وفيه ذكر العقل والعقلاء فى الخطاب واقامة الآيات على الإيمان بغير هـذا الحرف كالنهى واللب فلفظ الألباب جاء فى بضع عشرة آية . لهذا كان العلم بالكون طريق الإيمان والإسلام . قال عز وجل (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها ، وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عبـاده العلماء إن الله عزيز غفور) فديننا ولله الحمد علم وكل علمنا دين ، لأنه يزيدنا إيمانا ومعرفة بالله سبحانه ، وقد ورد فى الحديث « ان هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم » وأما قول المشككين إن العلم محصور فى المحسوسات ، فكل ما لا تحس به فلا يقال فى عرف الفلاسفة انك عالم به ، فهو من المغالطة أو الجهل ، فانه لا علم يعتصم باليقين كعلم الرياضات وبراهينها معقولة غير محسوسة .

(تعارض الدليل العقلى مع الدليل السمعي)

ذكرنا فى المنار غير مرة أن الذى عليه المسلمون من أهل السنة وغيرهم من الفرق المعتد بإسلامها ان الدليل العقلى القطعى إذا جاء فى ظاهر الشرع ما يخالفه فالعمل بالدليل العقلى متعين ، ولنا فى النقل التأويل أو التفويض وهذه المسألة مذكورة فى كتب العقائد التى تدرس فى الأزهر وغيره من المدارس الإسلامية فى كل الاقطار ، كقول الجوهرة :

وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم تنزيها

قال الإمام الرازى فى تفسير قوله تعالى (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) عند ذكر التأويل : « انه قد ثبت أنه متى وقع التعارض من القاطع العقلى والظاهر السمعى فاما ان يصدقهما، وهو محال ، لأنه جمع بين النقيضين ، وإما أن يكذب القاطع العقلى ويرجح الظاهر السمعى ، وذلك يوجب تطرق الطعن فى الدلائل العقلية، ومتى كان كذلك بطل التوحيد والنبوة والقرآن . وترجيح الدليل السمعى يوجب القدح فى الدليل العقلى والدليل السمعى معا ، فلم يبق إلا أن يقطع بصحة الدلائل العقلية ويحمل الظاهر السمعى على التأويل » اه ثم إنه أقام الدليل بهذا الوجه على المعتزلة فى مسألة التكليف لأنهم يتفقون مع أهل السنة فيه .

هذه المسألة مشهورة عند علماء المسلمين لانحتاج إلى تأييدها بنقول ولكن فشت بيننا فى هذا العصر مطبوعات المشككين فى الدين ، فاذا نقل المسلم عبارة من أصول دينه يقولون ان هذا من عنده ولا يبعد أن يوجد من الجاهلين من يغتر بأقوالهم . وقد تقدم فى مقالات « الإسلام والنصرانية » أن الأصل الثانى للاسلام تقديم العقل على النقل عند التعارض ، وهذا دليله من القرآن ومن كلام بعض الأئمة ، ولو أردنا سرد النقول من المواقف والمقاصد وسائر كتب الكلام والتفسير ومن كتب المتأخرين كحواشى الباجورى والرسالة الحميدية لأطلنا الكلام فى معنى واحد .

الشكوك فى المسألة

فإن قيل : إن الامام الغزالى بعد أن أظهر تهافت الفلاسفة فى أدلتهم النظرية فى علم الله تعالى قال «فاذن ليس ينفك فريق منهم عن خزى فى مذهبه ، وهكذا يفعل الله بمن ضل عن سبيله ، وظن أن الأمور الالهية يستولى على كنهها بنظره وتخيله» فهل يدل هذا القول على أن الدين غير معقول أم لا ؟

فالجواب : أنه ليس من مقتضى الدين ولا من مقتضى الفلسفة الوقوف على كنه الخالق وحقيقته ، وكنه صفات البارى وحقيقتها . و إذا عجز الحكماء والعلماء عن معرفة كنه الاجسام المشاهدة فكيف يطمع الطامعون بمعرفة كنه خالق الاجسام بأدلة نظرية وتخيلات شعرية ؟ هذا شيء لم يكلفنا به الدين فيكون قول الغزالى بإنكاره على الفلاسفة دليلا على أن الاسلام لا يكلف الناس بغير المعقول كما يزعم الشكاك .

ومثل هذا قوله فى هذا البحث (بحث العلم الإلهى) مخاطبا للفلاسفة بعد اظهار عجزهم وتهافتهم . «المقصود تعجيزكم عن دعواكم معرفة حقائق الأمور بالبراهين القطعية وتشكيككم فى دعاويكم ، و إذا ظهر عجزكم ففى الناس من يذهب إلى أن حقائق الأمور الإلهية لا تنال بنظر العقل ، بل ليس فى قوة البشر الاطلاع عليها ، ولذلك قال صاحب الشرع صلوات الله عليه « تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فى ذات الله »اه

فهذه الجملة من الامام الغزالى كالجملة السابقة خاصة ببيان عجز البشر عن حقيقة البارىء وحقائق صفاته ، وقد مرت القرون والاجيال وستمر قرون وأجيال أخرى إلى أن ينقضى عمر البشر ، ولا يصلون إلى معرفة حقيقة الله وحقيقة علمه وسائر صفاته . وهكذا قال صاحب (مقالات الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) قال (ص٥٤٤ من المنار) :«لابد أن ينتهى أمر العالم إلى تآخى العلم والدين ،على سنة القرآن والذكر الحكيم ، و يأخذ العالمون بمعنى الحديث الذى صح معناه ، «تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى ذات الله » وعند ذلك يكون الله قد أتم دينه ولو كره الكافرون وتبعهم الجامدون القانطون » فكلام الامام الغزالى ، وكلام هذا الإمام واحد لا فرق بينهما . ولو كان الاسلام كلفنا بأن نعرف كنه ذات الله تعالى وكنه صفاته لكان مكلفا لنا بما لا يعقل ولا يستطاع .ولكن الله يقول(لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) .

هذا وإن الامام الغزالى لم يقصد بكتاب تهافت الفلاسفة الذى نقلنا منه تينك الجملتين بيان القواعد الاسلامية، و إنما قصد بيان فساد نظريات الفلاسفة فى الأمور الإلهية، وقد يدفع الفاسد بالفاسد ، ولذلك قال قبل الجملة الثانية بأسطر (ص٤٥) «نحن لم نخض فى هذا الكتاب خوض الممهدين ، بل خوض الهادمين المعترضين ولذلك سمينا الكتاب (تهافت الفلاسفة) لا (تمهيد الحق) » اه فلا يصح أن يؤخذ من هذا الكتاب مذهبه فى العقائد ولا فى غيرها كما نبهنا على ذلك فى مقالة الأسباب والمسببات (المقالة الرابعة عشرة) . و إنما يؤخذ مذهبه من كتبه فى العقائد والأصول ، وهو فيها موافق لسائر أئمة السنة فى أن العقل أصل الاسلام ، وأن براهينه القطعية لاترد . فإن جاء فى الشرع مايخالفها فى الظاهر فالحكم فيه ماتقدم .

فإن قيل : قد علمنا أن أئمة المسلمين فى العقائد والأصول لم يختلفوا فى أن دين الاسلام هو دين العقل ، فهل تعلم أن الفلاسفة الاسلاميين خرجوا عن هذا الأصل وفصلوا بين العقل والدين ؟

فالجواب: كلا إن الفلاسفة أحرص على التوفيق بين العقل والشرع من غيرهم. وقد ألف فيلسوف الاسلام فى الغرب أبو الوليد بن رشد رحمه الله تعالى كتابا فى هذه المسألة أثبت فيها ماأثبته أهل السنة من قبله ذلك الكتاب هو (فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال) فنى هذا الكتاب أثبت أن الشرع الاسلامى أوجب النظر بالعقل وجعله أساساً للعقائد . ثم قال (فى ص٨) مانصه :

و إذا كانت هذه الشرائع حقا وداعية إلى النظر المؤدى إلى معرفة الحق ، فإنا معشر المسلمين نعلم على القطع أنه لايؤدى النظر البرهانى إلى مخالفة ماورد به الشرع فان الحق لايضاد الحق بل يوافقه و يشهد له . و إذا كان هذا هكذا فإن أدّى النظر البرهانى إلى نحو مّا من المعرفة بموجود ما فلا يخلو ذلك الموجود أن يكون قد سكت عنه فى الشرع أو عرف به . فإن كان مما سكت عنه فلا تعارض هناك وهو بمنزلة

ماسكت عنه من الأحكام فاستنبطها الفقيه بالقياس الشرعى. و إن كانت الشريعة نطقت به فلا يخلو ظاهر النطق أن يكون موافقاً لما أدى إليه البرهان فيه أو مخالفا فإن كان موافقاً فلا قول هناك . و إن كان مخالفاً طلب هناك تأويله ، ومعنى التأويل هو إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يخل فى ذلك بعادة لسان العرب فى التجوز من تسمية الشىء بشبيهه أو سببه أو لاحقه أو مقارنه أو غير ذلك من الأشياء التى عهدت فى تعريف أصناف الكلام المجازى . و إذا كان الفقيه يفعل هذا فى كثير من الأحكام الشرعية فكم بالحرى أن يفعل ذلك صاحب العلم بالبرهان ، فان الفقيه إنما عنده قياس ظنى والعارف عنده قياس يقينى .

« ونحن نقطع قطعاً أن كل ماأدى إليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع أن ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربى . وهذه القضية لا يشك فيها مسلم ولا يرتاب فيها مؤمن . وما أعظم ازدياد اليقين بهـا عند من زاول هذا المعنى وجربه وقصد هذا المقصد من الجمع بين المعقول والمنقول بأن نقول : إنه مامن منطوق به فى الشرع مخالف بظاهره لما أدى إليه البرهان إلا إذا اعتبر الشرع وتصفحت سائر أجزائه وجد فى ألفاظ الشرع مايشهد بظاهره لذلك التأويل أو يقارب أن يشهد . ولهذا المعنى أجمع المسلمون على أنه ليس يجب أن تحمل ألفاظ الشرع كلها على ظاهرها ولا أن تخرج كلها عن ظاهرها بالتأويل » اه المراد منه بحروفه

تقول : الله أكبر ، لمع الحق وبهر ، وظهر أن علماء المسلمين متكلميهم وفلاسفتهم ومفسريهم وفقهائهم لم يختلفوا فى أن الإسلام دين العقل ، على العقل بنى شرعه والعقل هو المخاطب به (لا القلب وحده) وظهر أن ماقاله الأستاذ الامام فى مقالات (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) فى تعارض الأدلة العقلية والنقلية . هو المجمع عليه فى الملة الحنيفية ، وهذا مايدعو إليه المنار جهاراً ، وكبر على أعداء الاسلام فمكروا مكراً كباراً ، ولن يجدوا لهم من دون الله أنصارا .

فإن قيل : إن لابن رشد كلاما آخر فى « تهافت التهافت » يشبه أن يكون مخالفا لقوله هنا كقوله « الفلسفة تفحص عن كل ماجاء فى الشرع فان أدركته استوى الادراكان وكان ذلك أتم فى المعرفة ، و إن لم تدركه أعلمت بقصور العقل الإنسانى وأن يدركه الشرع فقط » وكقوله : « أما الكلام فى المعجزات فليس فيه للقدماء من الفلاسفة قول لأن هذه كانت عندهم من الأشياء التى لا يجب أن يتعرض للفحص عنها ، وتجعل مسائل ، فانها مبادىء الشرائع والفاحص عنها أو المشكك فيها يحتاج إلى عقوبة عندهم مثل من يفحص عن سائر مبادىء الشرائع العامة مثل هل الله تعالى موجود وهل السعادة موجودة وهل الفضائل موجودة وأنه لايشك فى وجودها ؟ وأن كيفية وجودها هو أمر إلهى معجز عن إدراك العقول الإنسانية ؟ والعلة فى ذلك أن هذه هى مبادىء الأعمال التى يكون بها الانسان فاضلا ولا سبيل إلى حصول العلم إلا بعد حصول الفضيلة ، فوجب أن لايتعرض للفحص عن المبادىء التى توجب الفضيلة قبل حصول الفضيلة ، و إذا كانت الصنائع العملية لا تتم إلا بأوضاع ومصادرات يسلمها المتعلم أولا فأحرى أن يكون ذلك فى الأمور العلمية » اهـ بحروفه .

فالجواب : أن هذا الكلام لاينافى ذلك ولا يخالفه بل هو مؤيد لقوله الأول ولقول جميع أئمة المسلمين من السابقين عنه واللاحقين به إلى صاحب « مقالات الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية » ولو فرضنا أن بين القولين مخالفة لكان الواجب اعتبار الأول لأنه مبين لمذهبه واعتقاده هو وسائر المسلمين على سبيل القطع . وأما قوله هنا فهو حكاية عن الفلاسفة الأولين ولا يضرنا مخالفتهم لنا مادمنا واثقين بأننا على الحق المؤيد بالبرهان . على أن ابن رشد يقول هنا إن الفلاسفة الأولين لا يعارضوننا فى هذه المسائل أى أن مقتضى مذهبهم ذلك و إلا فقد صرح بأن ليس لهم كلام فى هذه المسائل التى ذكرها ، فالخلاف بينه و بين الغزالى فى هذا المقام محصور فى نقل إنكار الفلاسفة على المليين مسألة المعجزات

ومبادىء الفضائل فالغزالى يسنده إليهم على الاطلاق وابن رشد يقول : انه لم يبحث فى ذلك إلا ابن سينا ، والخطب سهل .

أما فى الوفاق فإنك تراه بديا يتكلم عن رأى الفلاسفة فى الأديان ومباديها لافى الاسلام الذى هو أرقاها وهو مع ذلك يعترف بأمور لا نجهل الدين (المطلق) فوق العقل ، بمعنى أن فيه مايحيله العقل و يقطع بعدم صحته (منها) أن مالا تدركه الفلسفة بنظرياتها فهودليل على أن العقل الانسانى قاصر على الوصول إليه بنفسه فهو محتاج فيه إلى إرشاد الشرع . ولا شك أن العقل الانسانى قاصر حتى اليوم عن ادراك كل مابين يديه ، فهو يستخدم الكهرباء و ينتفع بها ولا يعرف حقيقتها فكيف يعرف أمور الآخرة والنشأة الثانية ؟ وليس معنى قولنا : ان دين الاسلام معقول أن كل مسائله يمكن أن تعرف بالعقل استقلالا ، بل معناه أنه ليس فيه شىء يحكم العقل باستحالته ، ككون الواحد ثلاثة والثلاثة واحدا ، وكون الإله يتحد بالبشر ولولا أن هذا هو المراد لكان العقل يستقل بوضع الدين ولايحتاج فيه إلى الوحى

و (منها) قوله إن مبادىء الدين كالمعجزات أمور موجودة لا يشك فى وجودها والموجود لا يكون محالا لأن المحال لايقبل الوجود ، وقوله عنهم : إن كيفية وجودها أمر إلهى تعجز عن إدراكه العقول الإنسانية : لا يستلزم أن الدين غير معقول أو ان فيه شيئاً محالا فى نظر العقل ، لأن هذه الموجودات التى نحسّ بها ولا نشك فيها قد عجزت عقولنا عن معرفة كيفية إيجادها فعجزها عن معرفة كيفية وجود المعجزات أولى . و يسهل على كل عاقل أن يميز بين ماهو مستحيل لايتصور العقل وجوده و بين مالا يشك فى وجوده ، لكنه لم يصل إلى معرفة كيفية حدوث هـذا الوجود .

(ومنها) ان هذه المبادىء الدينية الموجودة الثابتة يجب أن تؤخذ بالتسليم والتقليد للشرع (لا لآراء الناس) من غير أن نسلط النظريات الفلسفية على البحث فى إمكانها وفى كيفية وجودها لأن هذا البحث سفه وضار ، وأى سفه

وضرر أكبر من التشكيك في شيء موجود نافع للناس لصدهم عن الانتفاع به بنظريات لاقيمة لها ؟ أى سفه أكبر من سفه من كان يمارى بالموجود الثابت بالمشاهدة أو التواتر (كالمعجزات) أو يلزم الانسان بأن لايسلك طريق الفضيلة حتى يبحث بالدلائل النظرية الفكرية فى إمكانها وفى كيفية حصولها ، وهو يرى ويشاهد أنها تحصل بالفعل وأن طريق حصولها هو العمل لاالنظريات الفكرية ؟؟

وما أحسن ما أورده الفيلسوف فى هذا المقام أيضاً وهو :

« وأما مانسبه (أى مانسبه الغزالى إلى الفلاسفة) من الاعتراض على معجزة ابراهيم عليه السلام ، فشيء لم يقله إلا الزنادقة من أهل الاسلام ، فان الحكماء من الفلاسفة ليس يجوز عندهم التكلم ولا الجدل فى مبادىء الشرائع وفاعل ذلك عندهم محتاج إلى الأدب الشديد، وذلك أنه لما كانت كل صناعة لها مبادى وواجب على الناظر فى تلك الصناعة ان يسلم مبادئها ولا يتعرض لها بنفى ولا إبطال كانت الصناعة العملية الشرعية هى أحرى بذلك لأن المشى على الفضائل الشرعية هو ضرورى عندهم ، ليس فى وجود الانسان بما هو إنسان بل وبما هو إنسان عالم . ولذلك يجب على كل إنسان أن يسلم مبادىء الشريعة وان يقلد فيها ولا بد من هذا الوضع لها، فان جحدها والمناظرة فيها مبطلان لوجود الانسان، ولذلك وجب قتل الزنادقة . فالذى يجب أن يقال فيها : إن مباديها هى أمور إلهية تفوق العقول الإنسانية ، فلابد أن يعترف بها مع جهل أسبابها ولذلك لاتجد أحدا من القدماء تكلم فى المعجزات مع انتشارها وظهورها فى العالم ، لأنها مبادى تثبيت الشرائع والشرائع مبادىء الفضائل ، ولا فيما يقال فيها بعد الموت . فاذا نشأ الإنسان على الفضائل الشرعية كان فاضلا باطلاق ، فان تمادى به الزمان والسعادة إلى أن يكون من العلماء الراسخين فى العلم فعرض له تأويل فى مبدأ من المبادىء فيجب عليه أن لايصرح بذلك التأويل وأن يقول فيه كما قال الله تعالى (والراسخون فى العلم يقولون آمنا به) هذه حدود الشرائع وحدود العلماء» اه بحروفه من (ص١٢٩)

حقا أقول : إن هذا مايصح أن يسند إلى الحكماء العقلاء واننا نوضحه بمثال آخرطالما ذكرناه فى مباحثنا مع الاخوان ، وهو أن الطب علم قد ثبتت فائدته للناس بالتجربة والمشاهدة ، فمن الحماقةوسفه الرأىأن يقال للمريض ، عليك أن لاتقبل من الطبيب علاجا حتى تبحث أولا عن مبادى الطب وتثبت بالأدلة النظرية أنه نافع ومفيد ثم تعرف الدواء الذى يصفه لك الطبيب ماهو؟ وما نسبة بعض أجزائه إلى بعض؟ وكيف يؤثر فى مقاومة المرض ؟ وما الدليل العقلى على تأثيره؟ وما أشبه ذلك .

كذلك يكون أفين الرأى من يقول للناس عليكم أن تبحثوا قبل الايمان عن أسباب المعجزة الثابتة التى رأيتموها أو نقلت اليكم بالتواتر حتى كأنكم كنتم حاضريها ، كيف أوجدها الله تعالى ، ثم تبحثوا أيضا عن كل ماجاء فى الشرع لتعلموا بالدليل النظرى لم كان كذلك؟ وكيف كان؟ و بعد ذلك كله آمنوا إذا عرفتم كل المسائل بالدليل النظرى ولا تؤمنوا إذا لم تعرفوها

يفتك المرض بمريض الجسد حتى يكون حرضاً أو يكون من الهالكين ولا يقدر أن يقف على دقائق الطب بالنظر والاستدلال ، وهو كسبى كله وضعه أمثاله من الناس بالنظر والتجربة ، وكذلك تفتك الرذائل والعقائد الباطلة بمريض النفس فتجعله مصيبة على نفسه وعلى الناس ولا يصل بالنظر إلى هذه الكيفيات ، فبقى ان الصواب ماقرره الإسلام ، وهو أن النظر واجب فى الاصول التى تثبت بها معرفة الله تعالى وصحة النبوة ، ومتى اعتقدنا بقدرة الله و إرادته وعلمه وكونه أوحى إلى بعض عبيده وألهمهم إرشاد الناس إلى مايسعدهم فى حياتهم الاخرى فانه يسهل علينا أن نسلم بكل مايقول الموحى اليهم (الأنبياء عليهم السلام) تسليما . فان وجدنا فيه شيئا يخالف ظاهره الدليل العقلى القطعى نرده اليه بالتأويل أو نفوض الأمر فيه إلى الله مع الأخذ بالدليل العقلى : هذا ما أجمع عليه أئمة المسلمين كما تقدم وهو كاف فى

كون الاسلام دين العقل ، لأن المسلم لا يترك الدليل العقلى القاطع بحال من الأحوال .

وقد أحسن ابن رشد فى رأيه أن لا تنتشر التأويلات التى تظهر للراسخين فى العلم ، بل تبقى خاصة بأهلها لئلا تكون سببا لفتح باب الجدل على العامة فيما لا تصل إليه أفهامهم من حقائق العلوم . والجـدل مدعاة الشكوك ولذلك يجب تأديب المشككين والإعراض عن المجادلين .

ارتقـاء الأديان ، وختمها بالإسلام

﴿ جاء فى « رسالة التوحيد » للأستاذ الامام مانصه ﴾

جاءت أديان والناس فى فهم مصالحهم العامة بل والخاصة فى طور أشبه بطور الطفولية للناشىء الحديث العهد بالوجود ، لا يألف منه إلا ما وقع تحت حسه ، ويصعب عليه أن يضع الميزان بين يومه وأمسه ، وان يتناول من المعانى مالا يقرب من لمسه ، ولم ينفث فى روعه من الوجدان الباطن مايعطفه على غيره من عشيره أو ابن جنسه ، فهو من الحرص على مايقيم بناء شخصه فى هم شاغل عما يلقى اليـه فيما يصله بغيره ، اللهم إلا يدا تصل إلى فمه بطعام ، أو تسنده فى قعود أو قيام ، فلم يكن من حكمة تلك الاديان ، أن تخاطب الناس بما يلطف فى الوجدان ، أو يرقى عليه بسلم البرهان ، بل كان من عظيم الرحمة أن تسير بالأقوام وهم عيال الله سير الوالد مع ولده فى سذاجة السن ، لا يأتيه إلا من قبل مايحسه بسمعه أو ببصره . فأخذتهم بالأوامر الصادعة . والزواجر الرادعة ، وطالبتهم بالطاعة ، وحملتهم فيها على مبلغ الاستطاعة ، كلفتهم بمعقول المعنى جلى الغاية وان لم يفهموا معناه ، ولم تصل مداركهم إلى مرماه ، وجاءتهم من الآيات بما تطرف له عيونهم ، وتنفعل

به مشاعرهم ، وفرضت عليهم من العبادات مايليق بحالهم هذه [١]

ثم مضت على ذلك أزمان علت فيها الاقوام وسقطت ، وارتفعت وانحطت ، وجربت وكسبت ، وتخالفت واتفقت ، وذاقت من الأيام آلاما ، وتقلبت فى السعادة والشقاء أياما وأياما ، ووجدت الأنس بنفث الحوادث ، ولقن الكوارث ، شعوراً أدق من الحس وأدخل فى الوجدان ، لايرتفع فى الجملة عما تشعر به قلوب النساء أوتذهب معه نزعات الغلمان ، فجاء دين يخاطب العواطف ، ويناجى المراحم ، ويستعطف الاهواء ، ويحادث خطرات القلوب ، فشرع للناس من شرائع الزهادة مايصرفهم عن الدنيا بجملتها ويوجه وجوههم نحو الملكوت الأعلى ، ويقتضى من صاحب الحق ، أن لا يطالب به ولو بحق ، ويغلق أبواب السماء فى وجوه الاغنياء ، وما ينحو نحو هذا مما هو معروف . وسن للناس سننا فى عبادة الله تتفق مع ما كانوا عليه ، ومادعاهم اليه ، فلاقى من تعلق الناس بدعوته ما أصلح من فاسدها ، وداوى من أمراضها

ثم لم يمض عليه بضعة اجيال حتى ضعفت العزائم البشرية عن احتماله ، وضاقت الذرائع عن الوقوف عند حدوده والأخذ بأقواله ، ووقر فى الظنون أن اتباع وصاياه ضرب من المحال ، فهب القائمون عليه أنفسهم لمنافسة الملوك فى السلطان ومزاحمة أهل الترف فى جمع الأموال ، وانحرف الجمهور الأعظم منهم عن جادته بالتأويل . وأضافوا اليه ماشاء الهوى من الاباطيل ، هذا كان شأنهم فى السجايا ـ نسوا طهارته ، وباعوا نزاهته ، أما فى العقائد فتفرقوا شيعا ، وأحدثوا بدعا ، ولم

---

(١) المنار . المعروف إلى الآن من هذه الأديان دين اليهود ومن قرأ كتبه المقدسة التى يسمون مجموعها (التوراة) ينجلى له انطباق الوصف عليهم ففيها أن الرب كان يلقب شعب اسرائيل بالشعب « الغليظ الرقبة » أى العريض القفا ، والمراد البليد الجافى ، وكان يريه الآيات والمخاوف فيخضع ثم يعود إلى تمرده وكان يعلل له الاحكام بالوقائع الخاصة كانجائه من المصريين . وكان يعاقبه على ترك أى حكم باشد العقوبة . ومنها أن من يعمل يوم السبت عملا يقتل قتلا

يتمسكوا من أصوله الا بما ظنوه من أشد أركانها . وتوهموه من أقوى دعائمها ، وهو حرمان المعقول من النظر فيه وفى غيره من دقائق الاكوان ، والحظر على الافكار أن تنفذ إلى شىء من سرائر الخلقة ، فصرحوا بأن لاوفاق بين الدين والعقل ، وان الدين من أشد أعداء العلم ، ولم يكف الذاهب إلى ذلك أن يأخذ به نفسه ، بل جد فى حمل الناس على مذهبه بكل مايملك من حول وقوه ، وأفضى الغلو فى ذلك بالأنفس إلى نزعة كانت أشأم النزعات على العالم الانسانى ، وهى نزعة الحرب بين أهل الدين للالزام ببعض قضايا الدين . فتقوض الأصل ، وتخرمت العلائق بين الأهل ، وحلت القطيعة محل التراحم ، والتخاصم مكان التعاون ، والحرب محل السلام ، وكان الناس على ذلك إلى أن جاء دين الإسلام[1]

كان سن الاجتماع البشرى قد بلغ بالإنسان أشده ، وأعدته الحوادث الماضية إلى رشده ، فجاء الاسلام يخاطب العقل ، ويستصرخ الفهم واللب ، ويشركه مع العواطف والاحساس ، فى إرشاد الإنسان إلى سعادته الدنيوية والأخروية . وبين للناس ما اختلفوا فيه ، وكشف لهم عن وجه ما اختصموا عليه ، وبرهن على أن دين الله فى جميع الأجيال واحد ، ومشيئته فى اصلاح شؤنهم وتطهير قلوبهم واحدة ، وأن رسم العبادة على الأشباح ، انما هو لتجديد الذكرى فى الأرواح ، وأن الله لا ينظر إلى الصور ولكن ينظر إلى القلوب ؛ وطالب المكلف برعاية جسده كما طالبه باصلاح سره ، ففرض نظافة الظاهر كما أوجب طهارة الباطن ، وعد كلا الأمرين طهراً مطلوبا ، وجعل روح العبادة الإخلاص ، وأن

(١) المنار : يرى الناظر أن الاستاذ الامام يلصق جميع ما ابتدع فى النصرانية وكان شؤما على الانسانية ، بالرؤساء الذين خرجوا من زهادة المسيح ـ ويدعون انهم نوابه ـ الى مزاحمة الملوك والاستعلاء عليهم . فلا يتوهمن أحد أن مسلما يعتقد أن فى دين المسيح نفسه شيئاً كان ضاراً بذاته عن خوطبوا به

مافرض من الأعمال إنمـا هو لما أوجب من التطبع بطاهر الملكات : (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) (ان الإنسان خلق هلوعا ، إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعا ، إلا المصلين) ورفع الغنى الشاكر إلى مرتبة الفقير الصابر، بل ربما فضله عليه ، وعامل الانسان فى مواعظه معاملة الناصح الهادى للرجل الرشيد ، فدعاه إلى استعمال جميع قواه الظاهرة والباطنة . وصرح بمالا يقبل التأويل أن فى ذلك رضاء الله وشكر نعمته وان الدنيا مزرعة الآخرة ولا وصول إلى خير العقبى ، إلا بالسعى فى إصلاح الدنيا .

(ثم قال) « كشف الاسلام عن العقل غمة من الوهم فيما يعرض من حوادث الـكون الـكبير « العالم » والكون الصغير « الانسان » فقرر أن آيات الله الكبرى فى صنع العالم انما يجرى أمرها على السنن الالهية التى قدرها الله فى علمه الأزلى لا يغيرها شىء من الطوارىء الجزئية ، غير أنه لا يجوز أن يغفل شأن الله فيها ، بل ينبغى أن يحيا ذكره عند رؤيتها . فقد جاء على لسان النبى صلى الله عليه وسلم « إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فاذكروا الله »[1] وفيه التصريح بأن جميع آيات الـكون تجرى على نظام واحد لا يقضى فيه إلا العناية الأزلية على السنن التى أقامته عليها ثم أماط اللثام عن حال الانسان فى النعم التى يتمتع بها الأشخاص أو الأمم والمصائب التى يرزؤن بها ففصل بين الأمرين فصلا لا مجال معه للخلط بينهما »

ثم بعد أن ذكر الأستاذ حال الأفراد وان مايصيبهم قد يكون بكسبهم وقد يكون بغير ذلك قال :

« أما شأن الأمم فليس على ذلك ، فان الروح الذى أودعه الله جميع شرائعه الالهية من تصحيح الفكر ، وتسديد النظر وتأديب الأهواء ، وتحـديد مطامح

(١) كسفت الشمس يوم مات ابراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم ، فظن بعض الناس أنها كسفت لموته . فقاله . رواه البخارى وغيره

الشهوات ، والدخول فى كل أمر من بابه ، وطلب كل رغيبة من أسبابها ، وحفظ الأمانة ، واستشعار الاخوة ، والتعاون على البر ، والتناصح فى الخير والشر ، وغير ذلك من أصول الفضائل ـ ذلك الروح هو مصدر حياة الأمم ومشرق سعادتها فى هذه الدنيا قبل الآخرة (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها) ولن يسلب الله نعمته مادام هذا الروح فيها . يزيد الله النعم بقوته و ينقصها بضعفه ، حتى إذا فارقها ذهبت السعادة على أثره ، وتبعتها الراحة إلى مقره ، واستبدل الله عزة القوم بالذل ، وكثرهم بالقل ، ونعيمهم بالشقاء ، وراحتهم بالعناء وسلط الله عليهم الظالمين أو العادلين . فأخذهم بهم وهم فى غفلة ساهون (و إذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليه القول فدمرناها تدميرا) أمرناهم بالحق ففسقوا عنه إلى الباطل ، ثم لا ينفعهم الأنين ولا يجديهم البكاء ، ولا يفيدهم ما بقى من صور الأعمال ، ولا يستجاب منهم الدعاء ، ولا كاشف لما نزل بهم إلا أن يلجؤا إلى ذلك الروح الأكرم فيستنزلوه من سماء الرحمة برسل الفكر والذكر والصبر والشكر (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا) وما أجل ماقاله العباس بن عبد المطلب فى استسقائه « اللهم انه لم ينزل بلاء إلا بذنب ، ولم يرفع إلا بتوبة » على هذا السنن جرى سلف الأمة ، فبينما كان المسلم يرفع روحه بهذه العقائد السامية ، و يأخذ نفسه بما يتبعها من الأعمال الجليلة ، كان غيره يظن انه يزلزل الأرض بدعائه ، و يشق الفلك ببكائه ، وهو ولع بأهوائه ، ماض فى غلوائه ، وما كان يغني عنه ظنه من الحق شيئاً » اه المراد هنا من رسالة التوحيد

﴿ تشبيه التعليم الدينى بتعليم المدارس ﴾

هذا ماقاله الأستاذ الإمام فى رسالة التوحيد التى طبعت لأول مرة سنة ١٣١٥ هجرية وقرر مجلس إدارة الأزهر تدريسها رسميا فى الجامع الأزهر ، ومعلوم أن رئيس هذا المجلس هو شيخ الجامع ، فهو من سائر العلماء أعضاء المجلس ، بل وسائر علماء

الأزهر متفقون على ماقى هذه الرسالة . ومما تقدم عنها يعلم معنى كون دين الإسلام هو دين العقل - والقرآن يشهد بهذا فى عشرات ومئات من الآيات . و يعلم أيضاً أن المسلمين يعتقدون بحقيقة الديانة المسيحية وكونها جاءت إصلاحا للناس ولكن إلى أجل محدود قد انتهى واستغنى عنها بالدين الأخير

تقدم أن دين الله واحد (لا نفرق بين أحد من رسله) وأن خطاب الوحى كان يختلف باختلاف استعداد الناس . فالشريعـة الموسوية وما شا كلها مما كان قبلها ودرس كالمدرسة الابتدائية . والديانة المسيحية كالمدرسة التجهيزية . والديانة الإسلامية كالمدرسة العليا التى هى التعليم الأخير . وهـذا لا يتضمن انتقاص اليهودية والمسيحية ، كما أن وجود المـدارس العالية لا يقتضى انتقاص المدرسة الأولى أو الثانية لأن كلا منهما لابد منه ، والغرض من الجميع واحد . ولا تنس أن التشبيه بالنسبة إلى مجموع البشر فى الجملة ، فلا يقال ينبغى أن يكون كل فرد من الناس يهوديا ثم نصرانيا ثم مسلماً . وهذا الذى قلناه مؤيد بما أرشد إليه العلم الصحيح من سنة الإرتقاء البشرى ، وقد جرى الناس على ذلك بحكم تلك السنة فدخل الملايين من اليهود والنصارى فى الإســلام أفواجاً ، وكانوا فى ذلك كمن انتقل من مدرسة إلى مدرسة أعلى منها ، ولولا الرؤساء الذين جعلوا الدين تقليديا وجعلوا عليه سياجاً من القوة الحسية والوهمية ، ولولا الطوارىء التى طرأت على سير الإســلام بواسطة الرؤساء من الملوك والأمراء ، وفتنتهم للعلماء والفقهاء ، لما بقى للأديان الأولى من الإتباع ما يكونون به أمماً كبيرة (ص ٨٠٧ الخ م ٥)

المقالة السادسة عشرة

﴿ السلطتان الدينية والمدنية ﴾

(وهى رد على انظار الجامعة السلطة المدنية والشريعة فى الاسلام)

نحن المسلمين نعتقد أن دين الله تعالى واحد فى جوهره ، وأن البيان والهدى فيه إنما يختلف باختلاف الأزمنة ، وأن الناس كانوا فى كل زمان يأخذون من هداية الدين بقدر استعدادهم ، وأن حالة الاجتماع فى الأمم السابقة كانت قاضية بإضاعة كتب الدين كلها أو بعضها إذا طال الأمد على من جاء بها ، وأن أقرب الملل ظهوراً من الإسلام لم تسلم من هذه الإضاعة ، وأن الإسلام هو الدين الوحيد الذى حفظ كتابه كله ، وظهر فى وقت ارتقت فيه حالة الاجتماع حتى يمكننا أن نحكم بأنه لم تتلاش ثمرة من ثمار العقول بعد الإسلام ولن تتلاشى ، فهو مبدأ تاريخ جديد فى البشر

قلنا : إن أقرب الملل زمناً من الإسلام لم تسلم من الضياع ، وظاهر أننا نعنى اليهودية والنصرانية ، فكل من الفريقين قد فقد السند المتصل لكتبه المقدسة فهو غير موجود قولا ولا كتابة . وهذا هو المراد بقوله تعالى فيهم (أوتوا نصيباً من الكتاب) وقوله عز وجل فى كل منهما (فنسوا حظاً مما ذكروا به) والحظ بمعنى النصيب ، أى أنهم حفظوا بعض ما أوتوه ونسوا بعضه . ومتى ذهب بعض الدين صار الباقى غير موثوق به و إن سلم من التحريف فيه والإضافة ، فكيف إذا لم يسلم ؟ وقد أنزل الله تعالى القرآن (مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه) والمراد بالكتاب الجنس ، والمهيمن المراقب الذى عنده نبأ ما يراقبه ، فما صدقه القرآن من تلك الكتب فهو من النصيب الذى أوتوه ، وما أخبر به وليس موجوداً فهو من الحظ الذى نسوه ، وما كذبه فهو مما زادوه وأضافوه ، فهو الحكم العدل (و إنه لقول فصل وما هو بالهزل) .

وكان الواجب أن يحكموه فيما شجر ، و ينتهوا عما نهى و يأتمروا بما أمر . وكذلك فعل الموافقون ، وصد عنه الآخرون . والسبب فى الصدود هو السلطة الدينية التى جعل ذووها الدين لمصلحتهم تقليديا محضاً مقود عقائده بأيدى الرؤساء مثل الأحبار والاساقفة يقلدونها الناس و يحمونهم سواها ، و ينشئون الاحداث من الذكران والأناث ، على اعتقاد وجوب التسليم لهم ، والرجوع فى كل أمر الدين إليهم ، ولايزال أثر هذه التنشئة ظاهرا فيمن يربى فى مدارس القسيسين ، فتراه يناظرك فى المسألة ، فاذا قامت عليه حجتك ، قال ان هذا الذى تقول ظاهر فى نفسه ومعقول ، ولكنه من أمر الدين والقسيس يقول بخلافه ، ولا قول فى الدين إلا مايقول القسيس ، ولا يشترط أن يكون قوله معقولا ولا مفهوما ! !

فاذا قال النصرانى : ان السلطة الدينية مثار التعصب الذميم ، ومبعث العداوة والبغضاء بين الجيران والاقربين . والحجاب دون المساواة بين أهل الوطن الواحد فى الحقوق ، والقيد الذى تقيد به الارادة والعزيمة ، والغل الذى يغل به العقل والفكر ، فالمسلم يصدقه ولاينازعه ، يصدقه حامداً لله تعالى أن ليس فى دينه طائفة جعل لها الإسلام حق السيطرة على العقول والأرواح ، تودع فيها ماتشاء وتحرمها مما تشاء ، وتتصرف فى المسلمين باسم الدين كما تشاء . ثم يلتفت فيرى أن المسلمين الذين قلدوا الرؤساء الروحيين عند النصارى لم يبلغوا أن صار لهم سلطة حقيقة منتظمة يحاسبون بها الافكار على خواطرها ، والعقول على معارفها ، بل هؤلاء هم الذين كانوا يتسامحون مع الفكر والخيال مالا يتسامح غيرهم و يعدون كل معرفة تقرب من الله تعالى ، لأنهم يقولون : إن لله طرائق ، بعدد أنفاس الخلائق ، ثم يلتفت من جانب آخر فيرى أن هؤلاء المقلدين فى السلطان الروحانى لا تعظم سلطتهم الا حيث يصغر العلم بالدين ، ولا يقوى نفوذهم الا حيث يضعف نفوذ الحكم الاسلامى ، وما عز لهم سلطان فى مكان ، الا وكان و بالا على المسلمين والاسلام . فان كنت نسيت حوادث مهدى السودان ، فأمامك حادثة خارجى مراكش الآن .

للعلماء والعقلاء والكتاب والخطباء أن يقولوا فى السلطة الدينية النصرانية ماشاءوا ، ولهم أن يسعوا فى فصلها و إبعادها عن السلطة المدنية ما استطاعوا ، فنها سلطة كانت ولا تزال ضارة حيث وجدت وتوجد ، وكان معظم ضررها أيام كانت مقرونة بالسلطة المدنية · لهم أن يسموها سلطة ، فان لها فى كل مملكة رئيسا عاماً يولى سائرالرؤساء فى المملكة ، وهؤلاء الرؤساء الذين هم أركان سلطته منبثون فى كل مدينة وفى كل قرية ، ولا يوجد حكام مدنيون فى جميع القرى والمزارع ، كما يوجد هؤلاء الحكام الروحانيون . ولهم أن يقاووا هذه الحكومة و يقاوموها ، ولهم أن يخضدوا من شوكتها ، و يضعفوا من صولتها ، ولهم أن يقولوا انه لولا فصلها عن السلطة المدنية ، لما تنسمنا نسيم الحرية ، ولهم أن يعذروا الأمة الفرنسية ، إذا حاولت اصطلام هذه السلطة بالكلية ، المسلم يعذرهم فى كل هذا ، لأنه من الاصطلاح الذى جاء به الاسلام ، كما ألمعنا فى صدر هذا المقال . فمن لم يأخذه من الاسلام مباشرة فله أن يأخذه من نظام الفطرة إذا هداه العلم اليه ، وما الاسلام الادين الفطرة الهادى إلى نظامها وسنن الله فيها

ومن الظلم البين أن يرمى الإسلام نفسه بتقرير السلطة الدينية المعروفة عند النصارى . والإسلام هو الذى أبطل كل سلطة يكون بها فريق مسيطرا على روح فريق وحاكما على حريته فى غير مايحرمه الشرع على كل رئيس ومرؤس ؛ ان الذين اتبعوا سنن من قبلهم وقلدوهم فى مثل هذا الأمر لم يتقنوا التقليد ، وكان روح الإسلام مانعا أن يبلغوا منه كل ما أرادوا . ولكن الإسلام لم يسلم من أعداء يلصقون به كل عيوبهم ، ويقولون عليه الكذب وهم يعلمون ، نعم إنهم يخلقون عليه إفكا لأنهم اطلعوا على ما كتبنا وكتب بعض الأئمة فى بيان نفى هذه السلطة ، ثم لا يفتأون يعيبون الإسلام بها ولهم غرض يرمون إليه وراء تشكيك المسلمين فى دينهم وتنفيرهم منه ، وقد أشرنا إليه فى مقال مضى ووعدنا ببيان الحق فيه كما بيناه فى غير ذلك من شكوكهم وشبهاتهم

شاهد فى الموضوع من منار السنة الأولى

صدرنا العدد ٢٢ من منار السنة الأولى بمقالة فى (سلطة مشيخة الطريق الروحية) قلنا فى أولها : « لقد أتى على الانسان فى طور اجتماعه أدوار ، ومرت عليه أجيال وأعصار ، وهو مغلول الإرادة ومقيد الجوارح بسلطتين عظيمتين قويتين ، للقائمين عليها النفوذ التامّ فى أفراده ، والتصرّف المطلق فى آحاده ، وهما سلطة الدين وسلطة السياسة ـ أو كما يقول أهل العصر ـ السلطة الروحية والسلطة الزمنية »

ثم قلنا بعد كلام فى حال هاتين السلطتين وتأثيرهما وحال الأمة التى تحكم بهما ما نصه :

«وبالجملة ان أمة هذا شأنها تكون دائما متقلقلة كقدح الراكب لا تثبت على حال ولا تستقر على شأن . وجميع ما انتاب الأمم من رفعة وضعة وعلم وجهل وسعادة وشقاء ، فقد كان مرجعه إلى تصرف الأمراء والحاكمين ، والرؤساء الروحيين » ولقد كان الشر أغلب على الأمم من الخير ، والشقاء أشمل لها من السعادة . لأن الرئيس الفاضل الحكيم لا يأمن من العثار و إذا عثر عثرت معه الأمة وهوت ، وقد يهدم الرئيس الجاهل الغوى فى مدة قليلة ، ما بناه الحكماء فى الأجيال الطويلة .

ولهذا كانت سعادة البشر موقوفة فى نيلها أو كمالها على تحديد القوانين والشرائع الروحية والزمنية (المدنية) وجعل الناس فيها شرعا (أى سواء) لا مزية لرئيس على مرؤس إلا بما يمتاز به المرؤسون بعضهم على بعض وبما لا تقوم الرياسة بدونه ، كوجوب الطاعة للسلطان ولا طاعة لأحد على أحد فيما وراء الشريعة والقانون . ولكن لم تأت شريعة سماوية ولم يوضع قانون بشرى لهذا التحديد والمساواة ، حتى جاءت الديانة الإسلامية فحددت الشريعتين (المدنية والروحية) معاً ، وجعلت الناس فيها سواء لا فضل لأحد على أحد إلا بالعلم والعمل ، واقتلعت

جذور الطاعة العمياء وبينت ان الدعوة إلى الحق لا تكون إلا بالحجة والبرهان بمثل قوله تعالى (قل هـذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) فسر العلماء البصيرة بالحجة الواضحة . وقوله تعالى (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) .

« وبناء على هـذا كان الصحابة يراجعون النبى ﷺ الرأى قائلين : هل هذا شيء قلته من عندك يارسول الله أم نزل به وحى ؟ فان قال هو من عنـدى جاءوا بما عندهم من الرأى وربما رجع النبى إلى رأيهم كما جرى فى بعض الغزوات (منها بدر وأحد) . وأوقف أميرالمؤمنين عمر بن الخطاب الامام عليا مع رجل من آحاد يهود للمحاكمة وعاتبه علىّ بعد المحاكمة بأنه لم يساو بينه وبين خصمه لانه كناه وسمى خصمه وفى التكنية تعظيم وتعظيم ، أحد الخصمين ولو بمثل هذا مناف للعدالة والمساواة . وراجعت امرأة عمر وهو على المنبر فى مسألة تحديد المهر محتجة عليه بآية (وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئا) : فقال أصابت امرأة وأخطأ عمر :

« وأبلغ من هذا ان النبى عليه الصلاة والسلام طعن سواد بن غزية بقدح (سهم لا نصل له ولا ريش) فى بطنه وهو مكشوف ليستوى فى الصف يوم بدر فقال : قد أوجعتنى فأقدنى : فكشف له عن بطنه ليقتص منه فطفق يتمسح به وكان ذلك منـه توسلا للتوسل إلى هذا الشرف العظيم . وآذن الناس قبل موته بان من له حق عنده فليطلبه وإذا كان نحو ضرب فليقتص منه ، وأذن لرجل أن يضربه حين ادّعى انه ضربه يوما فقال الرجل : إننى كنت عارى الـكتف أو الظهر : (شك من الراوى) فألقى له الرداء عن عاتقـه الشريف وكان شأنه فى ذلك شأن سواد بن غزية .

« والنتيجة ان الإسلام قرر العبودية لله وحده والحرية فى ضمن دائرة الشريعة والمساواة بين الناس فى الحقوق والواجبات واطلاق الارادة والفكر من سلطة كل

زعيم وسيطرة كل رئيس روحي ومقتضى ذلك أن يكون المسلم عبداً كاملا لله حراً كاملا بالنسبة إلى ماسواه » .

هذا بعض ما قلناه في المسألة من نحو خمس سنين وبعده كلام في سلطة مشيخة الطريق كيف ظهرت وماذا أعقبت .

مجمل الدلائل على نفي السلطة الدينية في الاسلام

(١) أقوى الدلائل على أنه لاسلطة دينية في الإسلام كما في النصرانية تحديد وظيفة الرسول في القرآن بأنه مبلغ لامسيطر ولا وكيل ولا جبار على الناس قال تعالى (إن عليك إلا البلاغ) وقال عز وجل (ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء) وقال تبارك شأنه (انك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) وقال عز اسمه (وما أنت عليهم بجبار) وقال تعالى جده (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) وقال جل جلاله (وما أنت عليهم بوكيل) فأين هذا كله من ملة يدعي رؤساؤها أنهم وكلاء الله في الأرض . هل يقاس النقيض على النقيض ؟ ؟ .

(٢) سيرة النبي عليه الصلاة والسلام فقد سمعت آنفاً أنه كان يُقيد من نفسه ويرجع عن رأيه إلى رأي أصحابه ، وأعجب من هذا أنه رجح الرأي الموافق لرأيه في مسألة أسرى بدر وكان الرأي الآخر هو الأصلح فعاتبه الله عتاباً شديداً حتى بكى عليه الصلاة والسلام .

(٣) سيرة الخلفاء الراشدين كما سمعت آنفاً عن عمر ويؤثر مثله عن سائرهم ولم تكن سيرتهم في المساواة وفي تحكيم الأمة بأنفسهم من مزاياهم الشخصية ، وإنما هو شيء أخذوه من القرآن ومن السيرة النبوية كما علمت وانما مزيتهم أنهم فهموا الإسلام كله وكانوا أشد من غيرهم غيرة عليه وعملا به .

(٤) لو كان الاسلام شرع هذه السلطة المعروفة فى الملل السابقة عليه من البوذيين والبراهمة والإسرائيليين والنصارى أو أجازها لوجد لها فى المسلمين نظام ورؤساء كما وجد عند غيرهم ولكن شيئا من ذلك لم يوجد ، وانما وجدت طائفة تصدت للتربية والارشاد ثم انقسمت إلى طوائف وجماعات ولم يكن لهم سلطة على أحد ، وانما يتبعهم من شاء باختياره ولم يسلموا مع ذلك من رمى الفقهاء لهم بالانحراف عن الدين ومن تفريق الحكام شملهم ، ولذلك لم يكن لهم ظهور إلا حيث يضعف علم الدين وحكمه كما قلنا آنفا . وأما لقب « شيخ الاسلام » فهو من اختراع الملوك والامراء الذين بعدوا عن المظهر الدينى فاستعانوا بمن له هذا المظهر لأجل التأثير فى نفوس العامة المقلدين

نعم إن السلطة الدينية وجدت على حقيقتها فى طائفة الباطنية ثم وجدت لهذه الطائفة حكومة مدنية فى العبيديين (الفاطميين) ولكن مذهب الباطنية ليس من الاسلام فى شيء ، ولذلك لم يستطع العبيديون أن يؤيدوه بسلطتهم تأييداً ظاهراً ، فيقال إن السلطة الدينية قد اجتمعت مع السلطة المدنية فى طائفة تنتمى إلى الاسلام فى الجملة . فعلم مما تقدم أنه ليس فى الاسلام سلطة دينية فما هذا الذى يعيب الاسلام به بعض كتاب النصارى وما هذه النصائح التى توجهها تلك الاقلام إلى الأمة الاسلامية لتقنعها بوجوب الفصل بين السلطتين الدينية والمدنية؟ الجواب : أن المراد بذلك أن يترك المسلمون شريعتهم كما يعلم من الفصل الآتى

الشريعة والدين فى الاسلام

جرى عرف الكتاب الأوربيين ومن تبعهم من الشرقيين لاسيما كتاب النصارى بأن يطلقوا اسم الدين على ما يتعلق بالاعتقاد بالله وبالوحى وما يعد ويخبر به من أمور الغيب وما يفرضه من العبادة ويخصوا كلمة الشريعة بما يتعلق بالمعاملات والأحكام القضائية والمدنية والسياسية ، وكل باحث فى التاريخ من

هؤلاء الكتاب يعلم ان الاسلام جاء بدين وشريعة ، ومن ذلك قول بعضهم : إن محمدا (عليه الصلاة والسلام) كون فى عشرين سنة أمة وجاءها بدين وشريعة ولم يتفق لغيره فى العالم الجمع بين هذه الامور الثلاثة : فهؤلاء يعلمون أن الشريعة قسيمة الدين فى الاسلام وان مايدين به المسلم ربه وما يعامل به الناس كله مقتبس من نور واحد ، وهو نور الوحى الذى أوحاه الله إلى محمد ﷺ

لافرق فى الإسلام بين القسم الدينى البحت والقسم الشرعى إلا فى شىء واحد وهو ان الاعتقاد والعبادة لما كانا لايختلفان باختلاف الزمان والمكان وأحوال الأمم وجب الاعتماد فيهما على الوحى فى الجملة والتفصيل والكليات والجزئيات . وأما المعاملات الدنيوية فلاختلافها باختلاف ماذكر قد وضع الاسلام لها قواعد كلية وأصولا عامة وفوض استنباط الجزئيات التى تحدث إلى أولى الأمر العارفين بمقاصد الاسلام وأصوله العامة وقواعده الكلية فهم يبينون الأحكام بالشورى فى كل ما يحدث للناس من المصالح استنباطا من تلك الاصول والقواعد . قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) فذكر أولى الأمر بصيغة الجمع . وقال (ولو ردوه إلى الرسول و إلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) ذكر أولى الأمر منهم بصيغة الجمع أيضا وأناط بهم استنباط الحكم الذى يحتاج اليه أو يتنازع فيه

ثم ان الأحكام الشرعية المنصوصة أو المستنبطة تحتاج إلى منفذين ولا بد أن يكون لهؤلاء رئيس لئلا تكون الامور فوضى وقد سمى الرئيس الأول فى الإسلام بعد وفاة النبى ﷺ خليفة له وسمى من بعده أمير المؤمنين ، واستمر هذا اللقب ووظيفة هذا الرئيس حماية الدين وأهله وتنفيذ أحكام شريعته فليس هو مسيطرا على الناس فى دينهم ولا مستقلا بوضع الأحكام الشرعية لهم ، وإنما هو حافظ للنظام ، ومنفذ للأحكام ، وسلطته هذه كما ترى مدنية شورية . لا مطلقة ولا استبدادية ، ولكن الإسلام أوجب عليه أن يعمل بالشرع وحرم عليه أن

يكون شارعاً بنفسه وأوجب طاعته بالمعروف . كما أوجب على الأمة إزالة سلطانه ان حملها على غير المشروع ، فصح بهذا الاعتبار أن يقال ان السلطة المدنية فى الاسلام مستندة إلى الدين أو انها سلطة دينية ، ولكن لايصح أن تشبه بالسلطة الدينية عند غير المسلمين ولا أن يجعل صاحبها جامعا بين سلطتين إحداهما على الأرواح والعقول والثانية على الأجسام والأعمال

هذاهو ديننا وهذه هى سلطته، فماذا يطالبنا ذلك الكاتب النصرانى، وبما ينصح لنا ؟ هو يطالبنا بأن نجعل رئيسنا المدني شارعاً ومنفذاً لما يشرعه لنا من الأحكام وينصح لنا بأن نترك شريعتنا القائمة على أصول ديننا ويزعم أن بناء الشريعة على قواعد الدين ، وجعل الحكام حماة للدين ومنفذين له هو الذى أزال الدولة العباسية وفرق شمل الأمة الاسلامية . ومن رأيه أن المسلمين لاينجحون ولا تقوم لهم قائمة مادام سلطانهم مكلفاً بالعمل بشريعتهم الدينية وتنفيذها ! !

لو جمعت كل ماورد من الكلم فى جميع اللغات ليدل على معنى التعجب وأضفت اليه كل امارات التعجب ودلائله فى الحركات والاشارات العضوية والقلمية وقدرت على تصوير جميع انفعالات المتعجبين وتأثراتهم النفسية وألصقت ذلك كله بهذه النصيحة النصرانية للأمة الاسلامية لما وفيت حق البيان فى كونها عجيبة غريبة مدهشة للمتعجبين !!

شبهات المشكك

(١) يقول هذا الناصح الأمين ، أو المشكك فى الدين : إن غرض الدين فى الأرض مناقض لغرض الحكومة فى الارض ، فكيف يجمع الاسلام بين النقيضين؟ ونحن نقول له : إن الاسلام جاء للاصلاح فى الأرض ، وكل ماينافض الاصلاح فهو إفساد تجب إزالته ، فالواجب أن يكون غرض الحكومة الاسلامية موافقا لغرض الدين الاسلامى . ومما لاخلاف فيه بين فقهاء الاسلام أن أحكامه الشرعية كلها مبنية على قاعدة «درء المفاسد وجلب المصالح » فأى حاكم من حكامنا يقدر

أن يأتينا بشرع أصلح من هذا الشرع إذا نحن تركناه عملا بنصيحتك وجعلنا الحاكم هو الشارع؟؟

(٢) يقول الناصح الأمين ، أو المشكك في الدين : إن من التناقض بين وظيفة الدين ووظيفة الحكومة أن الدين وضع قواعد وتقاليد للعقل وطرقا لسير الفكر فقيد بذلك الحرية العلمية . والحكومة لا تكلف الانسان بأن يسير في فكره على طريق مخصوص وإنما هي حامية لحرية النفس وما يتبعها من المال والدم والشرف ، ونحن نقول : إذا كان دينك كذلك فدين الاسلام مناقض له غير مناقض لوظيفة الحكومة التي ذكرتها . وذلك أنه تقرر فيه حرية العقل فلا يخرج المسلم عن حكمه في عقائده (كما بينا ذلك في الجزء الماضي) وتقرر أن أحكامه ترجع إلى خمس قواعد يسمونها الكليات الخمس ، وقد جمعها صاحب عقيدة الجوهرة بقوله .

وحفظ دين ثم نفس مال نسب ومثلها عقل وعرض قد وجب

(٣) يقول الناصح الأمين ، أو المشكك في الدين : يجب أن تكون الحكومة مساوية بين من تحكمهم ، وإن اختلفت أديانهم وأن تكون حامية لهم على السواء أيضا . والدين مناقض لها في ذلك . ونحن نقول : إذا كان دينك كذلك فديننا مناقض له لا لما يجب أن تكون عليه الحكومة . وذلك أن المساواة من أصوله وقد أشرنا في الفصل السابق من هذا المقال إلى مساواة عمر بين الامام عليّ ورجل من آحاد اليهود ومطالبة علي له بالمساواة في اللقب أيضا ، وهذه مساواة لم تصل اليها حكومة ولن تصل اليها حكومة إلا أن تكون مقيمة للاسلام على حقه . وأما الحماية فمن الأصول المأثورة في ديننا هذه الكلمة الجليلة « وأن نحميهم مما نحمي منه أنفسنا » وهذه الكلمة الفضلى « لهم مالنا وعليهم ماعلينا »

(٤) يقول الناصح الأمين ، أو المشكك في الدين : إنه ليس من شأن السلطة الدينية الدخول في الأمور الدنيوية ، لأن الأديان شرعت لتدبير الآخرة لا لتدبير الدنيا . ونحن نقول : إذا كان دينك كذلك فديننا ليس كذلك ، فانه شرع

لبيان مصالح الدارين ، والارشاد إلى طرق السعادتين ، فكيف تحكم على الأديان كافة بما تعتقده فى دينك ؟ وهل كنت أنت الواضع للأديان كلها فتقول : إننى وضعت دين الاسلام هكذا أيضاً وأهله قد زادوا فيه فأنا الآن أطالبهم بالرجوع إلى الأصل ؟ إن المسلمين لايقبلون منك ذلك لأن أئمتهم عرفوا الدين بأنه وضع إلهى سائق لذوى العقول السليمة باختيارها إلى مافيه صلاحهم فى الحال، وفلاحهم فى المآل .

(٥) يقول الناصح الأمين ، أو المشكك فى الدين : إن الجمع بين السلطتين يضعف الأمة ضعفا مستمراً لأنه يقتضى اضطهاد العقل والذكاء ويعرض الحكومة لثورة الأمة باغراء عدو يثيرها عليها ، ويكون سبب الشقاء الديني بين الطوائف التى تتألف منها الشعوب ويعرض الدين لأكاذيب السياسة ومفاسدها . ونحن نقول : إن كل هذا قد وقع فى دينه فلا ننكره ، وإنما ننكر قياس ديننا عليه وهو مباين له . وحسبنا أن الذى وقع عندنا هو نقيض ماوقع عندهم فإن الحكومة الاسلامية التى يسميها جمعا بين السلطتين (وقد فهمت معناها) قد أعطت الأمة قوة لم يقاومها فيها أحد فى زمنها وما ضعفت الأمة الاسلامية إلا بضعف الشرع وعدم إقامته وهذا أمر لاخلاف فيه . كذلك لم يضطهد العقل والذكاء فى الإسلام فى عصر إقامة شريعة الاسلام وإنما وقع شبه اضطهاد بعد ضعف الشرع والتهاون فى تنفيذه . أما الثورات التى يخافها الناصح على الحكومات الاسلامية إذا بقيت على شريعتها فهى أجدر بالوقوع إذا خرجت الحكومات عن الشريعة لأن الخروج على السلطان لا يجوز فى الاسلام إلا إذا خرج السلطان من الاسلام بترك الشريعة ، وإذا أخطأ فالواجب أن ترجعه الأمة عن خطأه بالمعروف . قال صاحب عقيدة الجوهرة :

واجب نصب إمام عدل ... بالشرع فاعلم لا بحكم العقل
فليس ركنا يعتقد فى الدين ... فلا تحد عن حكمه المبين
الا بكفر فانبذن عهده ... فالله يكفينا أذاه وحده

وأما الشقاق الديني بين الطوائف والملل فلم يعهد في بلاد الاسلام أيام إقامة الشريعة والعمل بها بل كانت الطوائف في هدوء وسلام لأن الدين يوجب ذلك وكان معمولا به . والذى يوجب الشقاق هو جعل الدين مصلحة لرؤساء مخصوصين يناهض كل رئيس بطائفته سائر الطوائف فهو ألصق بالفصل بين السلطتين وجعل كل واحدة مستقلة لها رؤساء يدبرونها منه بالجمع بينهما خصوصا جمع الاسلام بالمعنى المتقدم . وقد ذاقت الأمة النصرانية بأس هذه الرياسة وكانت هى التى ابتدعت الحرب بين طائفتين من أهل دين واحد للخلاف في الدين ولولم يكن لكل طائفة رؤساء مخصوصون لما وقع شيء من ذلك . وقد سرت عدوى النصرانية إلى غيرها وأصاب المسلمين شرر تلك النيران فحدث بين أصحاب المذاهب شيء من الشقاق لتعصب كل طائفة لإمام مخصوص وعلماء مخصوصين . وقد علمت أن رجال الدين لم تنتظم لهم في المسلمين رياسة لأن طبيعة الإسلام تأبى ذلك ولهذا لم يعظم النفور والشقاق بين أصحاب المذاهب الاسلامية كما عظم بين أرباب المذاهب النصرانية . على أن المذاهب المتعددة في الدين هى مخالفة لوضع الدين لأنها تفرق فيه والله يقول « أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » و يقول « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء » ولكن جاءنا من كتاب النصارى في هذا العصر من يقول فينا إن التفرق إلى شيع من طبيعة ديننا ولا علاج لهذا التفرق إلا ترك حكامنا لشريعتنا ! !

وأما تعريض الدين لأكاذيب السياسة ومفاسدها إذا كانت الشريعة مستمدة من الدين فهو نقيض المعقول وخلاف الواقع فان السياسة كما قال الكاتب مبنية على الرياء والمخاتلة ولا علاج للرياء إلا الدين وقد شدد فيه الاسلام حتى سماه « الشرك الأصغر » فاذا بنيت السياسة على قاعدة الدين سلمت وسلم معها الدين وإذا انفصلت من الدين فسدت وأفسدت الدين ولذلك استعاذ منهما الامام كاتب مقالات (الاسلام والنصرانية) بما استعاذ ووصفها بما وصف . وقد قلب الحقيقة الناصح أو المشكك فجعل انفصال الحكومة من الدين هو سبب السلامة !!

﴿ الوحدة الدينية ، والوطنية ﴾

يقول الناصح الأمين ، أو المشكك فى الدين ، إن الوحدة الدينية التى يطلبها الاسلام مستحيلة الوقوع ومحاولتها كان أكبر أسباب الفتن التى حدثت فى الاسلام والمسيحية . ويزعم أن البشر قد ارتقوا عن طلب الوحدة الدينية التى كانت عامة فيهم إلى الوحدة الوطنية وتدحرج فى البيان إلى ذكر فرنسا التى ارتقت فيها هذه الوحدة الجديدة التى حصر فيها سعادة البشر حتى حكمت بابطال مدارس الرهبنات وحتى حرمت على رئيسها ذكر اسم الله تعالى أو ذكر العناية الإلهية فى خطبه . وههنا شعر بأن هذا التدحرج قد انهار به فى هوة الباطل فعاد يعترض على هذه « الطريقة الجديدة » ويذكر من مفاسدها . وهكذا شأن من يعرف بما لا يعرف . وقد استدل على استحالة الوحدة الدينية بما كان فى أوربا من المفاسد والفتن بسببها وبعدم نجاح البابا فيها وبسعادة أوربا بعد إقامة السد بينه وبين الأحكام . ثم جرى على عادته فى تشبيه الاسلام بالنصرانية فزعم أن الذى أسقط دولة بنى العباس هو عجزهم عن حفظ المملكة بالوحدة الدينية وعدم اهتدائهم إلى الوحدة الوطنية ! ! ! سبحان الله ما أعلم هذا الكاتب بالتاريخ وما أقدره على استخراج طبائع الملل منه ! !

خبرونا أيها المؤرخون والمطلعون على كتب التاريخ : أى مؤرخ قال إن سبب سقوط بنى العباس هو حكمهم بالشريعة الاسلامية أو قال ان أصحاب الملل المختلفة فى بلادهم كانوا ساخطين على الحكم بالشريعة وطالبين أن تستبدل بها قوانين غيرها يضعها الحكام أو المحكومون وأنهم لذلك ثاروا على الدولة حتى أسقطوها بالحروب الأهلية التى مثارها التعصبات الدينية؟ لم يقل بذلك عالم ولا جاهل وانما هو زعم افتجره وافتجره واخترعه وابتدعه ناصح المسلمين الأمين ، أو مشككهم فى الدين ،

لسقوط دولة العباسيين أسباب أهمها أمران ذكرهما مؤرخ الدولة العثمانية الأكبر جودت باشا ناظر العدلية (رحمه الله تعالى) قال بعد ماذكر فضل

المأمون فى ترويج العلوم وتوسيع نطاق المدنية ماتمر يبه « إلا أنه أخطأ خطأ بينا فى أمر يتعلق بتدبير المملكة وهو أنه أعطى ولاية خراسان لرجل يسمى طاهراً مكافأة له على قتل أخيه الأمين فاتخذ نيسابور عاصمة لها وجعلها موروثة له ولأعقابه من بعده فكان ذلك باعثاً على إزالة رهبة الخلافة من صدور العمال ، وسبباً فى الخروج عن الطاعة والنزوع إلى الاستقلال ، ثم جاء بعده الخليفة المعتصم فجمع بعض الاحـداث من الترك وجعلهم عسكراً خاصا به ولما اشتد ساعدهم خرجوا عن طاعتـه وأحدثوا ثورات هائلة كما وقع قديما فى عسكر قياصرة رومية »

وظاهر أن ماعمله المأمون مخالف للشريعة الاسلامية ومناف للوحدة الدينية. وان ماعمله المعتصم كان لاخلاله بأصول الأحـكام الاسلامية من الشورى وكفالة الأمة للامام والتحرى فى اتخاذ البطانة فقدقال تعالى «ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا بطانة من دونكم لايألونكم خبـالا ودوا ماعنتم » الآية . وللمفسرين وجهان فى قوله « من دونكم » قيل هم المنافقون وقيل الكافرون . وكان أولئك الأحـداث أحد الفريقين فانهم اتخذوا بطانة ولما يدخل الايمان فى قلوبهم كما علم من مقالات (الاسلام والنصرانية) وقد تحقق فيهم قوله تعالى (لايألونكم خبالا ودوا ماعنتم» ولـكن ناصحنا الأمين حرف قول الإمام فى هـذا المقام إلى فتنة سيـاسية فزعم أن مراده الحـكم بأن الترك والفرس لايعتد باسـلامهم وأن الدين خاص بالعرب أى أنه لايعتد باسـلام مثل البخارى ومسلم وأبى حنيفة والغزالى !!! نعوذ بالله نعوذ بالله

ياحسرة على أعداء الشريعة الاسلامية التمسوا لهاعيبا فيها فأعياهم وأعوزهم فالتمسوه فى المقيمين لهـا (كأبى بكر وعمر) فأعيـاهم وأعجزهم ، فنقبوا عنه فيمن انحرفوا عن صراطها فنكبوا فأصابوه وألصقوه بها وقالوا إنها شريعة ضارة يجب تركها واختراع شريعة بدلها !!

كانت رابطة الوحدة في الاجتماع البشرى محصورة في البيوت (العائلات) ثم اتسعت فصارت في القبائل ثم اتسعت بناموس الترقى فكانت الشعوب والأمم الكبيرة التي وحدتها الجنسية باللغة أو الدين أو البلاد (الوطن) وكان الدين خاصاً لايتعدى الشعب الذى وجد فيه إلى أن ظهر الاسلام . فان في الاناجيل المعتمدة عند النصارى إلى اليوم أن المسيح عليه الصلاة والسلام قال : « لم أرسل إلا إلى خراف اسرائيل الضالة » وقال « ماجئت لأنقض الناموس وإنما جئت لأتمم » والناموس هو شرع الاسرائيليين الخاص بهم وتتميمه ببيان الحق فيما اختلفوا فيه منه وفي بيان أسراره والتوسع في القسم الروحانى منه . وأما ماينقلونه عنه من أنه قال « اكرزوا بالانجيل في الخليقة كلها » فهو مخالف لما تقدم في الظاهر ويمكن أن يتفق معه بجعل (أل) في الخليقة للعهد أى الخليقة المعهودة وهى الأمة الاسرائيلية حيث كانت وأين وجدت

بعد هذا استعد البشر بناموس الارتقاء إلى وحدة أوسع من كل ماتقدم ـ إلى وحدة يمكن أن تدخل فيها جميع الشعوب والقبائل والأمم والأجناس المختلفين في البلاد واللغات والأديان ـ إلى وحدة لها رابطتان (إحداهما) جثمانية اجتماعية عمرانية دنيوية وهى أن يحكموا بشريعة عادلة تساوى بينهم في الحقوق لايمتاز فيها كبير على صغير ولا غنى على فقير ولا عربى على عجمى ولا متدين بدين على متدين بغيره (وثانيتهما) روحانية أخوية أخروية تختص بمن يجمعهم الاعتقاد الصحيح المبنى على البرهان الصريح ، وهذه الوحدة هى الوحدة التى جاء بها الدين الاسلامى وعمل بها المسلمون في الصدر الأول فكان المخالفون لهم في الدين يفضلوا حكمهم على حكم المتحدين معهم في الدين واللغة والوطن . ولم توجد المساواة ولا العدالة الصحيحة إلى اليوم إلا في الاسلام فهذه الدول الأوربية الراقية بالوطنية لاتساوى بين أبنائها وأهل مستعمراتها في الأحكام بل ألزمت الحكومات الضعيفة في غير بلادها بالخروج على العدل والمساواة وتمييز أجناسها على رعايا كل حكومة من تلك

الحكومات فالمصرى يقتل فى مصر إذاقتل أجنبيا ولكن الأجنبى لايقتل بالمصرى وقد كنا أوضحنا هـذا المبحث فى مقالة عنوانها (الجنسية والدين الاسلامى) فلتراجع فى المجلد الثانى من المنار وفى سائر مجلدات المنار مباحث كثيرة تؤيد هذه المسائل المتفرقة وتعضد القضايا المتعددة فى هذا المقال

فتبين بمجموع ماتقدم ان الوحـدة التى جاء بها الإسلام هى أعلى مايترقبه البشر وأفضل مايتوجهون اليه ولكن الرياسـة الروحية فى الديانة النصرانية التى جعلت الدين مصلحة من المصالح ينتفع بها الرؤسـاء وخروج الحكام المنتسبين للاسلام عن قواعدها هما السدان المانعان من انتفاع البشر بها وستدك الحرية السدين ، ويجمع البشر بالاسلام بين السعادتين ، اهـ ص ٨٥٩ م ٥

تم الـكتاب